جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library and Archives

قراءات في كتب جديدة

06 فبراير 2024

قـراءات مجلـة دوريـة تصدرهـا جامعـة محمد بن زايـد للعلوم الإنسـانية بالتعـاون مـع الأرشـيف والمكتبـة الوطنية، وذلـك ضمن جهـود الجامعة لتعزيز مجالات النشـر والتوثيق، وإثراء السـاحة الثقافية والأدبية من خلال عرض الجديد من الكتب والإصدارات في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

مركز جامع الشيخ زايد الكبير - أبوظبي

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية جامعة حكومية في إمارة أبوظبي. تتمتع بالشخصية الاعتبارية المستقلة، والأهلية القانونية كاملة التصرف، وذلك بموجب قانون الإنشاء رقم: 20 لسنة 2020.

تهدف الجامعة إلى دعم مسيرة التنمية والتطوير والبحث العلمي، عن طريق طرح برامج أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية؛ لنيل درجة البكالوريوس والماجستير والدكتواره؛ لتكون مركزًا أكاديميًا مرموقًا على مستوى العالم، في مجال العلوم الإنسانية والإجتماعية والفلسفية. وتسعى بشكل خاص إلى تقديم برامج أكاديمية متميزة في اللغة العربية وآدابها، وفي الدراسات الإسلامية بفروعها؛ بهدف تقديم الإسلام والثقافة العربية بطريقة حضارية وإنسانية، تقوم على نشر فضائل التسامح والمحبة واحترام حقوق الانسان، وإعلاء قيم الاعتدال والوسطية والانفتاح على ثقافات وشعوب العالم المختلفة.

وفي سبيل ذلك تسعى الجامعة إلى تمكين الخريجين من امتلاك القدرة على المبادرة، والإبداع والتفكير الناقد، وبث الروح الإيجابية، والانتماء للوطن، وترسيخ القيم التي تقوي الأواصر الاجتماعية، وترسخ التوازن النفسي والفكري والمادي؛ ليكون المجتمع الإماراتي منارةً علميةً، وأنموذجًا عالميًا مؤثرًا في التوجه العالمي، وتحقيق نموذج الانفتاح على العالم بعقلية مبدعة، وقيم إنسانية وتعايش فعلي، وتعاون بناء لخير البشرية.

تقع جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية في مدينة أبوظبي، ولها فرع في إمارة عجمان. وتسعى حاليًا لافتتاح فروع أخرى داخل الدولة وخارجها.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street, P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi / 02 499 9000

Sheikh Maktoum Bin Rashid Street,
Mailbox 26262, Ajman, UAE / 06 711 9000

info@mbzuh.ac.ae
www.mbzuh.ac.ae

جـــامـــعـــة
محـــمـــد بـــن زايـــد
لـلـعـلـوم الإنـسـانـيـة
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأحداث

12 تخريج دفعة 2023

19 برنامج البحث العلمي للشباب

مراجعات الكتب

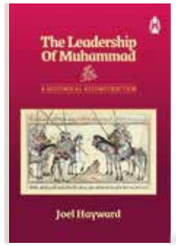

قيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم
16

مبادئ الدراسات الإسلامية
19

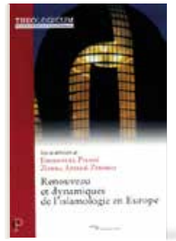

تجديد الدراسات الإسلامية في أوروبا
22

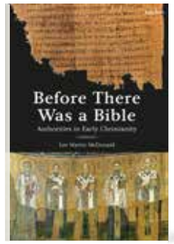

قبل تقنين الكتاب المقدس
25

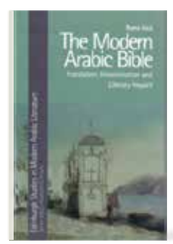

الكتاب المقدس العربي الحديث
28

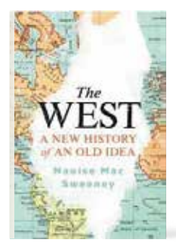

الغرب: تاريخ جديد لفكرة قديمة
32

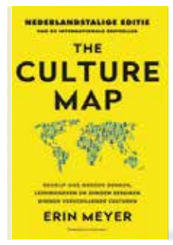

الخريطة الثقافية
35

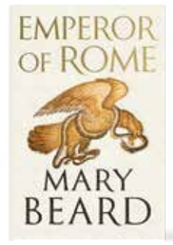

أباطرة روما
38

الانعطافة الكبرى لعلم الاجتماع
40

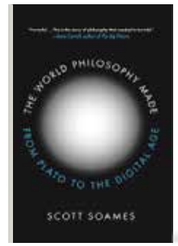

العالم الذي صنعته الفلسفة
42

النظرية النقدية
46

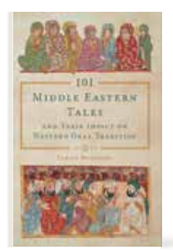

مائة حكاية وحكاية من القصص الشرقي
49

ثورة الجيل الرابع للتعليم الإلكتروني
52

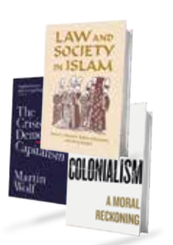

كتب جديدة ومراجعات مقتضبة
56

معرض فرانكفورت الدولي للكتاب 2023
24

مؤتمر الأطراف COP28
55

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library and Archives

مجلة دورية تصدرها جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية بالتعاون مع الأرشيف والمكتبة الوطنية

رئيس التحرير
خليفة الظاهري

الإشراف العام
ماريا الهطالي

مدير التحرير
رضوان السيد

مجموعة التحرير
البدر الشاطري
كريمة المزروعي
ماريا الهطالي
محمد السيد

تصميم
دلال البلوشي

اخراج
مصعب مشعل

إصدار
إدارة الدعم البحثي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

التسويق والتوزيع
مكتب الاتصال المؤسسي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

بالتعاون مع
الأرشيف والمكتبة الوطنية

Abu Dhabi:
Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street,
P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi

Ajman:
Sheikh Maktoum Bin Rashid Street, Mailbox 26262,
Ajman, UAE

Phone: + 971 4 388 46 99
Fax: + 971 4 388 47 99
e-mail: mbzuh@ac.ae

www.mbzuh.ac.ae

MBZ university for humanities
mbzuh

قراءات التنوع والامتداد

عرفت أولريك مارزولف قبل أربعة عقود، وقد خالف سيرة تلامذة الاستشراق فلم يبق بالجامعة بعد حصوله على الدكتوراه ، بل ذهب للعمل في داركبرى للنشر معنية بالتبادل الثقافي بين الغرب والعالم، وبخاصة بين الغرب والشرق العربي والإسلامي في العصور الوسطى في مجال الحكاية والأدب الشعبي.

وقد اختار لكتابه الأخير عنوان: مائة حكاية وحكاية من القصص الشرقي والتأثير في التقليد الشفوي الغربي، ومن ذلك كليلة ودمنة، وسندباد نامه، وألف ليلة وليلة. وقد راجع هذا الكتاب لمجلة قراءات الأستاذ بلال أورفه لي.

وإلى مائة حكاية وحكاية، هناك ثلاث مراجعات في الدراسات الإسلامية لكتب صادرة عام 2023، ومراجعتان لكتابين في الأصول المسيحية وترجمة الإنجيل حديثاً إلى العربية، وقراءات عدة لمؤلفات جديدة في العلوم التاريخية والثقافة والعلوم الاجتماعية والتربية، والتقدم الذي شاركت فيه الفلسفة عبر التاريخ.

هناك ازدهار كبير في دراسات العلوم الإنسانية، ومن الثقافة إلى التاريخ وقضايا الهوية وعلوم الاجتماع والتربية والتعليم، وهناك صراع على فكرة التقدم وسط التشاؤمية الثقافية السائدة، وما تنتجه التكنولوجيا المتقدمة لحاضر الإنسان ومستقبله، ومجلة قراءات تحاول أن ترافق ذلك كلّه بروح المعرفة والتفاؤل العاقل، ومن منطلق الاقتناع بأن التاريخ يظل حواراً بين الماضي والحاضر والمستقبل.

رضوان السيد

المحتوى

قيادة النبي محمد ﷺ

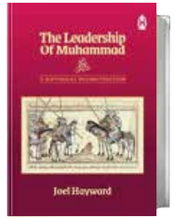

جويل هيوارد

في التقديم يدرس المؤلف صعوبات الكتابة في الشخصيات التاريخية للقادة، إما لنقص المعلومات أو للتحزب أو التعصب، ويقول إنه حاول أن يبني كتابه على أسس موضوعية وليس على معايير دينية أو تاريخية فقط، ثم بنى المؤلف كتابه في تشخيص قيادة النبي ﷺ على اثنى عشر محوراً، في المحور الأول وصف المصادر وأهمها القرآن والسيرة النبوية. وفي المحور الثاني درس مفهوم النبي للقيادة باعتبارها رعاية ومسؤولية، وأدى به ذلك لقراءة مفهوم القيادة في القرآن، وإلى السمة التشاورية لقيادة النبي، فالقيادة بالمقدرة والقيادة بالتواصل والجاذبية، ثم تحدث هيوارد عن الرؤية والمقدرات الاستراتيجية لدى النبي ومنها "دستور المدينة" ورؤية القرآن والنبي للسلام في العالم. ومن ضمن قياديته إيمانه بقوة الكلمة المنطوقة وأهمية استخدامها، وأهمية المساواة بين الناس حتى في التصميم المعماري للمسجد. وتحدث في محور مستقل عن القيادة العسكرية في شخصية النبي، ثم قياديته في التفويض بالمسؤوليات وتربية النخب وتدريبها. وكان عليه الصلاة والسلام بارعاً في عقد التحالفات، وما كان موفقاً في مقارنة النبي بنابليون بسبب الاختلاف الشديد بينهما حتى في فهم القيادة وممارستها. **قراءة: نور الدين شوبد. صفحة 16**

مبادئ الدراسات الإسلامية :ملخّص للمبادئ العشرة للعلوم الإسلاميّة السبعة عشر

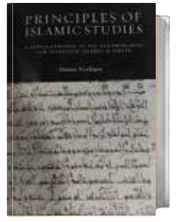

هارون فيرستان

يذكر المؤلف تقسيم العلوم عند المسلمين إلى سبعة عشر علماً كما استقر عليه الأمر أيام العثمانيين بحسب ساجقلي زاده (ت: 1145ه) في كتابة :ترتيب العلوم. وهذه العلوم في المقاصد، وعلوم الآلة، وعلوم الغاية عشرة مبادئ أو مناهج. والعلوم هي الصرف والنحو والفقه والمنطق والبحث والمناظرة والعقيدة والبلاغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث والتجويد والقراءات وأصول التفسير والفرائض والهيئة والعروض والتصوف. أما المبادئ العشرة فهي حدّ العلم وموضوعه وفائدته ونسبة العلوم الأخرى وفضله وواضعه واسمه الاصطلاحي وموادّه التي يستمد منها وحكم الشارع فيه ثم مسائله. ويذكر الأستاذ المراجع لكتاب فيرستان في مجال إيضاح مسألة الاستمداد نموذج علم أصول الفقه الذي انصهرت فيه جملةٌ من العلوم الأخرى وتفاعلت داخله تفاعلاً إيجابياً ما عرف لغيره من سائر علوم المسليمن. فهو يستمد من علم الكلام وعلوم اللغة وعلم الفقه وعلم الحديث ومن علم المنطق. **قراءة: عبد الحميد الراقي. صفحة 19**

تجديد الدراسات الإسلامية في أوروبا

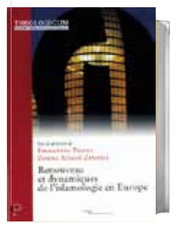

إيمانويل بيساني وزهرة أزيادي

صدر الكتاب عام 2023 وهو مجموعة أعمال مؤتمر انعقد بالمعهد الكاثوليكي في باريس عام 2021. ووقع في خمسة محاور تمثل مقاربات جديدة حول علم دراسة الإسلام في أوروبا، وما هي المناهج والتحديات وإمكانيات التجديد الموضوعية، وتلك المفيدة في مواجهة التطرف، بدأ استخدام مصطلح علم الإسلام Islamologie، في ألمانيا ثم انتقل إلى فرنسا، وشهد هذا العلم خطوات متقدمة على يد ماسينيون (1883 -1962) وتلامذته بحيث أثر في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965)، ويسمي الباحثون دراسات ماسينيون: الحد الأعلى في المقاربة الإيجابية للإسلام، وتأتي أهمية بحوث الكتاب من الثورة المعرفية التي يشهدها القرن الحادي والعشرون داخل الجامعات الأوروبية الساعية لإدراجه في العلوم الإنسانية ومناهجها. وقد يساعد ذلك على فهمٍ أعمق للدين الإسلامي وإعادة التفكير في التخصص خارج التفسيرات النمطية.
قراءة: ريتا فرح. صفحة 22

قبل تقنين الكتاب المقدس : السلطة في بداية المسيحية

لي مارتين ماكدونالد

يقرر الكتاب أن الأناجيل الأربعة ورسائل تلامذة المسيح التي يتكون منها ما يسمى في المسيحية بالعهد الجديد لم تصل إلى شكلها المعروف عند المسيحيين إلا بعد قرون من الجدل حول طبيعة المسيح وتفاصيل رسالته وكلماته. فقد قاد تطور الأبحاث في تاريخ الدين المسيحي علماء الاثار والمخطوطات إلى اكتشاف العديد من الأناجيل والكتابات الأخرى التي تعود إلى القرون الأولى، حيث تم تداولها بين مجموعات متفرقة من اليهود الذين انشقوا عن اليهودية، وبحثوا عن ميثاقٍ جديدٍ مع الله تمثل في حياة عيسى بن مريم وكلماته وعظاته. وبالنظر لتأخر قانونية النصوص إلى القرن الرابع الميلادي، يكون من الأجدى لدى ماكدونالد البدء بدراسة المجتمع المسيحي الناشئ، ثم دراسة النصوص التي استخدمها وليس العكس، أي استخدام النصوص للوصول إلى صورة المجتمع. ولكي يوضح ماكدونالد ما يقصده بتأخير قانونية النصوص وتأخر الانفصال عن اليهودية، يدرس الانشقاقات الأربعة التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي. فكرة الكاتب أن الكنائس المختلفة في القرن الأولى ما كانت عندها نصوص موحدة تستند إليها، بل كانت لديها قواسم مشتركة في "قانون الإيمان"، الذي اتفقت على عناصره الأساسية بعد الخلاص من الهرطقات، وقد جاءت قانونية الأناجيل بعد القرن الرابع نتيجةً لذلك. **قراءة: براين رايت. صفحة 25**

الكتاب المقدس العربي الحديث : الترجمة والانتشار والتأثير الأدبي

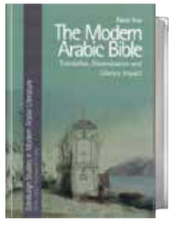

رنا عيسى

تدرس المؤلفة - ما يبدو أنه أطروحة دكتوراه - الترجمات البروتستانتية والكاثوليكية للإنجيل إلى العربية في القرن التاسع عشر. فبالترجمات أصبح الكتاب المقدس حديثًا عندما أصبح إنتاجه متوسطاً في الخطاب الذي كان من المقرر أن يفصل القرن التاسع عشر بشكل مختلف تماماً عما سبقه زمنياً، بحيث تمت تسميته بعلم النهضة، أي الانبعاث الذي جاء بعد حقبةٍ من الانحطاط أو التراجع، وتنظر المؤلفة إلى الكتاب المقدس باعتباره نصًا مشتركاً ينتمي إلى الكنائس المنظمة بين المجتمعات الشرقية والغربية، ويعبر عن تاريخ طويل من التبادل الديني والتجاري، فهو يجسّد القوى المتزامنة التي تربط هذه المجتمعات ببعضها، وهو بوصفه كتاباً مقدساً يعامل بشكل مختلف في الكنائس المختلفة، ويخضع لتقاويم وممارسات طقوسية متباينة، فالزمانيات التي ينتمي إليها متنوعة ومتشابكة وتتعارض وتتزامن في الوقت ذاته. إن ما يميز المشرق العربي يتمثل في أهميته التاريخية للموقع الأصلي للمسيحية فهو الموطن الذي ولد فيه السيد المسيح وعاش. وإلى ذلك كله قام الأميركيون بتجارة الكتاب المقدس وتحدوا سلطة الطوائف الدينية الأخرى وجرّوهم إلى المنافسة. وتشير المؤلفة أخيراً إلى أنّ الكتاب المقدس لم يؤثر كثيراً في اللغة العربية بقدر ما أثرت ترجمته ومترجموه، ففي هذا الكتاب تم استكشاف مزيد من الحجج حول ما يمكن أن يكون مستقبل اللغة العربية على أيدي المسيحيين، من خلال تلك الترجمات المتنافسة في حداثتها ابتعاداً عن اللغة الدينية لدى المسلمين العرب. **قراءة: محمد تمام الأيوبي. صفحة 28**

الغرب: تاريخ جديد لفكرةٍ قديمة

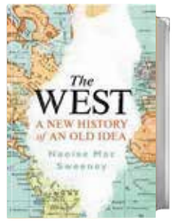

ناويز ماك سويني

تجادل عالمة الآثار الكلاسيكية البريطانية في كتابها هذا بأن السرد المهيمن على الحضارة الغربية هو سردٌ قائم على صورة مغلوطة يؤمن بها الغربيون وغيرهم على حد سواء. وتقدم سويني أدلة من خلال دراسة حالات الأربع عشرة شخصية، التي تركت بصماتها في التاريخ بتجاربها وإسهاماتها الفكرية، وذلك من أجل إعطاء صورة بديلة عن رواية الحضارة الغربية لنفسها منذ القرن السادس عشر وما بعد، ونقد فكرة الغرب عن نفسه مسألة جدالية في العقود الأخيرة. لكنّ نسيج الكتاب متماسك، ولغته جلية واضحة. فقد تم تنظيم الشخصيات التاريخية التي يسلّط الكتاب الضوء عليها بترتيب زمني، بدءًا من المؤرخ اليوناني هيرودوت المعروف في الغرب باسم أبو التاريخ، وانتهاءً بملف تعريف الرئيس التنفيذي السابق لهونغ كونغ كاري لام، ومن مآخذ سويني على الرؤية الغربية للغرب أنها تتجاهل بشكلٍ كاملٍ مساهمة غير الغربيين مثل الفيلسوف العربي المسلم أبو إسحاق الكندي. ومراجع الكتاب يدحض هذه الحجة ويذهب إلى أن الباحثين الغربيين يهتمون بالكندي أكثر من العرب المسلمين! وفي النهاية تذهب سويني إلى أنه مع ازدياد المنافسات الجيوسياسية، سيكون من الحكمة للمؤسسات الأكاديمية في جميع أنحاء العالم، و ليس فقط في الغرب، تحليل سردياتها الحضارية بشكل نقدي، كما فعل هذا الكتاب عن الغرب.

قراءة: استيرلنج جينسين. صفحة 32

الخريطة الثقافية

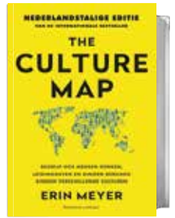

إرين ماير

تقدم إرين ماير في الكتاب مفتاحاً لفهم الثقافات المختلفة، وكيفية التفاعل معها في مجال الأعمال بالمؤسسات الدولية. فهي تقوم بتحليل ثمانية أبعاد وركائز ثقافية مختلفة تؤثر في رأيها على التفاعل بين الأفراد والمنظمات في سياقاتٍ عالمية. وتستند الباحثة في طرح هذه الأبعاد إلى بحوثها وتجاربها الميدانية التي اهتمت بموضوع التفاعلات الثقافية في مجموعة متنوعة من البلدان الثقافات. يتكون الكتاب من ثمانية مداخل تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة، وفي أول المداخل في العمل تنبه الكاتبة إلى ضرورة التعرف على العوامل الثقافية التي يعكسها السلوك البشري، وطريقة التحصيل المنهجي لفهم أسباب هذا السلوك، مما يسمح للمسؤولين بتطبيق استراتيجية واضحة تسهم بشكلٍ فعّالٍ في تجنب أو حلّ المعضلات التي تنجم عن سوء فهم ثقافة الآخر. وبعد ذكر عشرات الأمثلة في مختلف المداخل لما تريد التدليل عليه تصل إلى خمس نتائج: ضرورة وجود إطار منهجي واضح، والاهتمام بالتطبيق العملي، وإمكانيات جعل الكتاب متاحاً، ودراسة الحالات الحقيقية، وزيادة الوعي بالاختلافات الثقافية. **قراءة: نور الدين الموادن. صفحة 35**

أباطرة روما

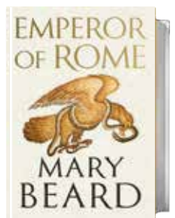

ماري بيرد

تقدم مؤلفة كتاب: أباطرة روما قصصاً صادقةً وصادمةً عن حياة أولئك العظماء في التاريخ الإنساني. ولا تخلو هذه القصص من عناصر الإثارة المسلية التي تلقي أضواء على الأبعاد الإنسانية الطبيعية وغير الطبيعية لهذه الشخصيات التاريخية الكبرى. وتقول المؤلفة إنها اعتمدت على عدة مصادر لعلّ أهمّها أعمال المؤرخ ترانكيلوس، الذي عمل في إدارتي الإمبراطورين هادريان وتراجان. وتلاحظ المؤلفة أنه لم يكن بين الأباطرة مفكرون وأدباء ربما باستثناء ماركوس أوريليوس، الذي اشتهر بمجموعة التأملات التي لقيت شهرة في عصره. وكان يتجمع على مكتبه يومياً أكثر من اثنتي عشر قضية للبتّ فيها، وكان يحرص على البتّ فيها بنفسه. والإمبراطور بحسب المؤلّفة كان أغنى رجل في الإمبراطورية من حيث القصور والمال والمزارع ومناجم الرخام.. إلخ. وكانت عائدات كل الثروات تُستخدم لتأمين نفقات إدارة الإمبراطورية. وما كان الأباطرة يشاركون في الحروب، لكنّ بعضهم كان يتفقد الجنود على الجبهة، ويشارك الجنود شظف العيش. والكتاب في الحقيقة ليس تاريخاً للإمبراطورية الرومانية، لكنه حديثٌ طويلٌ عن أشخاص الأباطرة وعاداتهم، وكيف كانوا يتعاملون مع إداراييهم ومع شعوبهم. ويرافق ذلك ذكر ملحاح لقصص طريفة عن سلوكهم و عاداتهم. **قراءة: محمد السماك. صفحة 38**

الانعطافة الكبرى لعلم الاجتماع

استيبان توريس

يتتبع الكاتب تطورات علم الاجتماع عبر العصور التاريخية، ومن ذلك تطور المجتمعات الزراعية إلى مجتمعات صناعية. لقد كان للتحضر الضخم وتركيز السكان في المدن تأثير عميق على الطريقة التي يعيش بها الناس ويعملون. وقد دفع ذلك إلى ظهور هيا كل اجتماعية جديدة مثل ظهور فئة عاملة صناعية، ونخبة رجال أعمال. ومع التقدم في التحليل يستكشف المؤلف الدور الحاسم الذي لعبته التكنولوجيا في تحول المجتمع، فقد تغيرت الأساليب التي يُنتج بها الناس السِلَع ويتواصلون ويصلون إلى المعلومات. وتحتل العولمة أيضاً مكانةً بارزةً في تحليله، ويهتم توريس بمتغيرات العلاقات بين الأفراد والحياة اليومية، وقد غيّرت الحضارة والهجرة الطريقة يتفاعل بها الناس، ثم إنّ التعليم صار يلعب دوراً كبيراً في أسلوب الحياة وفي الممارسة العملية. وإلى هذا وذاك أثّر التحول الاجتماعي على الهوية وإدراك الذات. وصار الأفراد يواجهون تحديات في بناء هوياتهم. ومع صعوبات المتغيرات وتسارعها كان على علم الاجتماع أن يتابع ذلك كله، وأن يفكر بأساليب جديدة للفهم والإفهام. وأخيراً هناك الأخلاق والمسؤولية في المجتمع الحديث، ويُفضي ذلك إلى تشابكات معقدة بين المبدئي والبراغماتي وغلبة السوق. **قراءة: بلقاسم الجطاري. صفحة 40**

العالم الذي صنعته الفلسفة

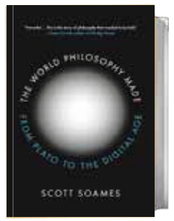

سكوت سومز

يستعرض سومز في الكتاب تسعة مجالات أسهمت الفلسفة في تقدمها عبر التاريخ، وهي: تمهيد في تكوين المعاني والمفاهيم عند سقراط وأفلاطون وأرسطو، ومن فجر الفلسفة إلى الهدنة بين الإيمان والعقل أيام الأكويني، فبدايات العلم الحديث ثم تصور المجتمعات الحرة والأسواق الحرة والناس الأحرار، والمنطق الحديث وأسس الرياضيات ثم الحوسبة، وعلم العفة وعلم الاختيار العقلاني، والعقل والجسد والعلوم المعرفية، ومسائل الحرية والعدالة والمجتمع الصالح، والقوانين والمؤسسات والدولة، والأخلاق والفضيلة والسعادة والمعنى في مواجهة الموت. في كل ميدانٍ من هذه الميادين سيدأ سومز بالتقدم فيه فكراً وعملاً مع فيلسوف أو عالم، ليعود فيربط بين الطرفين مركزاً على ترافق الفسلفة مع العلم البحث أو التجريبي أو توحدها في شخص واحد. يقول سكوت سومز في مطلع الكتاب: هذا الكتاب يتحدث عن الإسهامات التي قدمها الفلاسفة ومازالوا لحضارتنا. وبالطبع لم يكن الفلاسفة وحدهم هم من صنعوا العالم المتحضر الذي نتمتع به إلى اليوم. لكنّ آثار جهودهم كانت أكثر عمقاً وأبعد مدىً مما نتصوره عادةً.

قراءة: رضوان السيد. صفحة 42

النظرية النقدية

جون مارك دوران غاسلان

يدرس المؤلّف المتخصص في الفلسفة الألمانية تطورات النظرية النقدية في الفلسفة الألمانية وتفكيرها الاجتماعي منذ ظهور المدرسة عام 1923 وإلى مقالة هوركهايمر: النظرية التقليدية والنظرية النقدية (1937)، ثم انتقال المدرسة إلى نيويورك هرباً من النازية فالعودة إلى ألمانيا بعد الحرب الثانية. ويستنتج المؤلف أنه توالت على المدرسة ثلاثة أجيال: مشروع هوركهايمر للماركسية متعددة الاختصاصات والفلسفة الاجتماعية. وأشهر مفكري الجيل الأول هوركهايمر وأدورنو وهربرت ماركوزه وفالتر بنيامين، وقد مالوا عن التاريخ الاقتصادي البحت إلى مناحٍ ثقافية وأدبية واجتماعية. والجيل الثاني: من دراسة الرأي السياسي إلى نظرية الفضاء العام، ومن مفكريه هابرماس وكارل أوتو أبّل وكارل لفيت. وقد انصبّت الأعمال على نقد الفاشية والستالينية. أما الجيل الثالث: تجديد النظرية النقدية انطلاقاً من الحركات الاجتماعية. وأشهر مفكري الجيل المعاصرين أكسيل هونيت وهارتموت روزا، وهونيت هو صاحب الكتاب الشهير: الكفاح من أجل الاعتراف. **قراءة: عبد الدائم السلامي. صفحة 46**

مائة حكاية وحكاية من القصص الشرقي والتأثير في التقليد الشفهي الغربي

أولريك مارزولف

يدرس المؤلف في كتابه ثلاثة أمور تتعلق بالحكايات الشعبية الشرقية في علاقتها بالغرب الأوروبي. الأمر الأول ماهي الحكايات القديمة أو الوسيطة التي انتقلت من الشرق إلى الغرب ومنها كليلة ودمنة وسندباد نامي وأهمها ألف ليلة وليلة. والأمر الثاني الترجمات عن العربية والفارسية والتركية للحكايات إلى اللاتينية أو إحدى اللغات الأوروبية. والأمر الثالث الانتشار والتأثير وبخاصة الجانب الشفوي الذي ربما يكون قد انتقل مباشرة بالصلات التجارية أو الثقافية وليس عبر الترجمة. ويسهم عمل مارزولف هذا فهم أكثر تعقيداً للتراث الثقافي وديناميكيات السرد عبر الثقافات المختلفة، من خلال تسليط الضوء على التراث الشرقي الحكائي وتضمينه ضمن التراث السردي الغربي. ويتحدى الكتاب القراء لإعادة النظر في أصول القصص وتأثيراتها؛ لأنها غالباً تبدو كأنما هي غربية بحتة. **قراءة: بلال أورفه لي. صفحة 49**

ثورة الجيل الرابع للتعليم الإلكتروني

كيت بورتويك وأليسيا بلوتينيو

يغطّي الكتاب عدداً من المناهج التحويلية التي تناولها الباحثون في مؤتمر التعليم الإلكتروني الذي أقيم بجامعة ساوثها مبتون في 24 يناير 2020. وأبرز ما تعالجه أعمال المؤتمر كيفية تحويل مسارات التعليم التقليدية إلى بيئة تفاعلية متعددة الألسن، وكف يمكن الاستفادة من المساحات الافتراضية الضخمة المتاحة للجميع على الشبكة العنكبوتية وكذلك التطبيقات الإلكترونية الأخرى في تعزيز استقلالية متعلم اللسانيات الأجنبية. كما يعرض الكتاب لكيفية تأسيس مراكز لتعلم الذاتي في المؤسسة الجامعية، التي تعتمد مبدأ التفاعلية اللسانية بين المتحدثين. وإلى ذلك العرض لنماذج من التجارب العالمية في توظيف الجيل الرابع من الثورة الرقمية في تعلم اللسانيات الأجنبية. **قراءة: فوزي الغزالي. صفحة 52**

كتب جديدة مراجعات مقتضبة

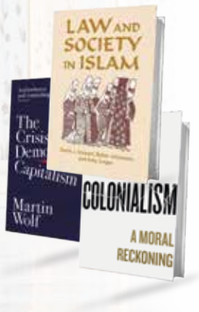

قراءة: رضوان السيد ونور الدين شوبد

صفحة 56

تخريج دفعة 2023 من طلبة جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

بحضور سمو الشيخ ذياب بن محمد بن زايد آل نهيان رئيس مكتب الشؤون التنموية وأسر الشهداء، احتفلت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية بتخريج دفعة جديدة من طلابها في برامج البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، ضمَّت 242 طالباً وطالبة من مختلف التخصُّصات.

قيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم
إعادة بناء تاريخي

The Leadership of Muhammad
A HESTORICAL RECONSTRUCTION

Joel Hayward

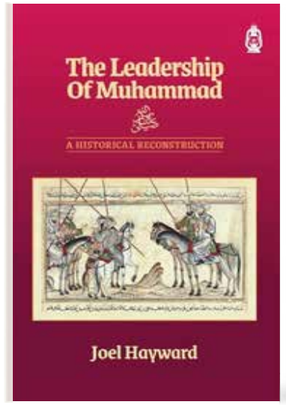

قراءة نورالدين شوبد
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب باللغة الإنجليزية في مارس 2021، عن دار النشر "CLARITAS BOOKS" بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد نال بها المؤلّف جائزة أفضل كتاب دولي غير روائي في حفل توزيع جوائز الشارقة الدولية للكتاب في نفس السنة، ثم صدرت بعد ذلك طبعة أخرى مترجمة إلى اللغة العربية عن دار الشروق بعمان سنة 2024، ترجمة منال دعنه.

البروفيسور جويل هيوارد عالم ومؤلّف نيوزيلندي / بريطاني، حاز على الإجازة في الفكر الإسلامي والسيرة النبوية، وغيرها من العلوم الإسلامية. وشغل مناصب قيادية أكاديمية مختلفة؛ منها: مدير معهد الأمن الدولي والمدني في جامعة خليفة بالإمارات العربية المتحدة، ورئيس قسم العلوم الإنسانية بنفس الجامعة، ورئيس دراسات القوة الجوية في كلية كينجز في لندن، وعميد كلية القوات الجوية الملكية في المملكة المتحدة. ويعملُ حاليًا أستاذاً للفكر الاستراتيجي في أكاديمية ربدان في الإمارات العربية المتحدة.

ومن أعماله العلمية: "الحرب في القرآن الكريم" 2012، و"الحرب خدعة: تحليل الحديث المثير للجدل حول أخلاقيات الخداع العسكري" 2017، وكتاب "الحصانة المدنية في الفكر الاستراتيجي الإسلامي التأسيسي: تحقيق تاريخي" 2019، وأحدث كتاب له هو "النبيّ المحارب: النبي محمد والحرب" 2022 الذي لقيَ إشادة واسعة النطاق من قِبل المتخصّصين والنُّقاد.

يُعتبَرُ كتابُه "قيادة محمد صلى الله عليه وسلّم: إعادة بناء تاريخي" أحد أهمّ الدراسات التي قَدّمت السيرة النبوية برؤية جديدة تختلف عن القراءات التقليدية المعهودة. فقد قام المؤلّف بفحص وتدقيق أقدم المصادر العربية بشكل حيادي وفقاً للمعايير الصّارمة للتحقيق التاريخي، من أجل التأكّد مما إذا كانت أفعال محمد صلى الله عليه وسلم الواعية وسلوكه وأساليبه يُمكن أن تُوفّر رُؤى جوهرية وهادفة حول فعالية قيادته الاستراتيجية.

وقد اقتضى العمل وفق هذه الرؤية أن يقسّم المؤلِّف كتابه إلى مقدّمة واثني عشر محوراً ثم خلاصة.

أثار في المقدمة عدداً من الأفكار والتساؤلات التي تدور حول التحديات التي نُعاني منها في فهم القيادة وتقدير فعاليتها بالنسبة للشخصيات التاريخية، وذلك لأن السجلات التاريخية غالبًا ما تكون مكتوبة من قبل مُوالين أو مُعادين، مما يجعلها مشبعةً بالتحيز أو عكسه، لذلك يكون من الصعب تحديد ما إذا كانت النجاحات أو الإخفاقات ناتجة عن القائد أو عوامل خارجية أخرى. كما نبّه المؤلّف إلى أن القادة العسكريين والأنبياء يُعَدُّون من أصعب الشخصيات للتحليل مثل شخصية المسيح عليه السلام، وشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم كذلك، إذ نجده قائداً عسكرياً ونبياً وباني مجتمع وأمة، والمصادر المتعلقة بحياته تأتي بعد وفاته بعقود. فالكتب التي تدرس قيادة محمد تعتمد على فرضيات مبنية على خلفية دينية وليس فحصاً نقديًا للقيادة نفسها، ونحن نعلمُ أن تقييم القيادة يجب أن يكون مبنياً على أسس موضوعية وليس على معايير دينية أو تاريخية فقط حتى يُعطي نتائج ذات فائدة وقيمة أكبر.

وهذا الموقف من المؤلّف لا ينبغي أن يمرّ على عمومه هكذا؛ فمصادر السيرة وإن كان المشهور منها متأخر التدوين؛ إلا أن جُلّها اعتمَدت في استخراج أحداث السيرة النبوية والشمائل المحمدية على كتب الحديث النبوي، وهي التي كانت أصولها تُكتب في صحائف معروفة على عهد النبي صلى الله عليه وسلّم وبعده، فلا يُسلَّمُ بذلك قول المؤلف على عمومه.

وقد حاول المؤلِّف في المحور الثاني أن يبيِّن مفهوم القيادة الدينية؛ وذلك من خلال دراسة الكيفية التي فهم بها محمد صلى الله عليه وسلم القيادة، فبصفته رجلاً عميق الإيمان تبنّى القيادة وطبَّقها في سياق مبادئ العقيدة. كما اعتقد بأن المسؤولية الرئيسة للقائد هي عمله كراعٍ مسؤولٍ ومحاسَبٍ عن توفير السّلامة والتّوجيه والرعاية لرعيَّته، وهي مسؤولية تنطوي على التفاني والهدوء والصبر العظيم.

انتقل المؤلّف بعد ذلك إلى الحديث عن القيادة من المنظور القرآني، وبيان العلاقة بين القادة والمنقادين. وأكّد أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يحتل موقعاً قيادياً فريداً، ويمتلك سلطة كبيرة تمكّنُه من المطالبة بالطاعة التامة. كما كان يتمتع بمواهب الإلهام والإقناع، وكان أتباعه مخلصين له، ويعتقدون اعتقاداً جازماً أن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم تجلب فوائد دنيوية وأخروية.

وفي سياق حديث المؤلِّف عن القيادة التشاورية في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلَّم: بيّن أن الشورى هي عملية نقاش وتبادل جماعي للآراء، تتمثل في التداول في القضايا واتخاذ القرارات بصيغة تشاورية، وهي ممارسة معروفة في المجتمعات العربية والقَبَلية. والقرآن الكريم يصف الشورى كوظيفةٍ اجتماعيةٍ مهمةٍ، ويعتبرها سلوكًا أساسيًا يجب ممارسته. وقد استخدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في قيادته، فكان يقدِّر النصائح والمشورات من الآخرين، ويسعى دائمًا للحصول على الإجماع، ويحترم وجهات نظر الآخرين، ويشجع على التواصل والنقاش البناء.

ثم انتقل المؤلّف بعد ذلك إلى الحديث عن محور القيادة بالقُدوة، فانطلق في بيان أن القرآن يُبرز الطبيعة المثالية لقيادة محمد الذي كان يُظهر استعدادًا دائمًا للقيام بما يُطلب من الآخرين مهما كان هذا الطلب صعبًا. ويؤمن بأن الطريقة المثلى لتعليم الأخلاق هي بأن يكون المرء قدوة أخلاقية. كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤكد بشكل دائم على أهمية العزم والحزم في مواجهة الخوف لتحقيق النصر، معتبرًا أن الشجاعة ليست مجرد جرأة، ولكنها تعني التغلب على الخوف لكي يمكن العمل من أجل الآخرين. ورغم أن البشر يميلون للخوف في المعارك، فقد كان يعتقد أن مثاله يمكن أن يقوي إقدام الآخرين، ولكن هذا لا يعني أن الشجاعة ستمنع الخوف دائمًا، لأن البشر طبائعهم متقلبة ومتناقضة.

في محور التواصل المشترك أكّد المؤلِّف أن النبيّ محمداً صلّى الله عليه وسلّم كان قائدًا مميزًا قادرًا على جذب الناس من جميع نواحي الحياة بفضل قُدرته على التواصل. فكان يعرف كيف يتعامل مع الناس بمنتهى البساطة والإنسانية، حيث لم يتبنَّ أسلوب التفوق، بل إنّه يظهر في روايات السيرة كشخص عادي في الكثير من الأوقات. وأشار المؤلِّف إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم استخدمَ الأمور اليومية في توجيه رسائل أخلاقية وروحية، وكان هدفه خَلق مجتمع متكافئ يستفيد الجميع منه، وأن دين الإسلام هو دين للجميع بغضّ النظر عن مركزهم الاجتماعي.

وعند حديث المؤلِّف عن القدرات الاستراتيجية والرؤية التي كان يمتاز بها النبي محمد صلى الله عليه وسلّم: بيّن أنه كان يمتازُ بقدرة مُذهلة على رؤية النمو المحتمل للأفكار الدينية وتطويرها داخل إطار اجتماعي وسياسي. وأنّهُ صلى الله عليه وسلّم استخدم هذه الموهبة لاستقطاب أتباعه من مختلف الخلفيات والمعتقدات ومن جميع الفئات والمستويات الاجتماعية. بل حتى في أوقات اليأس: كان مؤمنًا بأن بإمكانه إنشاء مجتمع موحّد يَضُمّ كافة الفئات. وهذا ما جعله يُقدِمُ على إعلان "دستور المدينة"، الذي يعتبر أساسًا لتكوين مجتمع موحّد يَضُمُّ مختلف القبائل والديانات. هذا الاتفاق التشريعي تضمّن الوحدة والمساواة والأخلاقيات، ولم يدعُ إلى الاندماج الديني أو الطقسي، ولكنه أوجد إطارًا للتعايش والتسامح.

كما وصف المؤلف قدرات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الاستراتيجية ورؤيته الشاملة: بأنّهُ كان لديه رؤية عظيمة تتجاوز مكة والمدينة، إذ كان يسعى لتحقيق تعايش عالمي بين البشر، فاستخدم أساليب الإقناع وقوة الشخصية لجذب الناس إلى هذه الرؤية. ورغم التحديات الأولية، استطاع التفاوض وبناء تحالفات واسعة، نتيجة فهمه العميق للنظام القبلي. وعلى الرغم من محاولات التمرد من بعض القبائل اليهودية، فقد واصل محمد صلى الله عليه وسلم توسيع نفوذه، وبمرور سنوات قليلة، صار لديه التأثير الكبير في المنطقة.

وبحسب المؤلّف فإن النجاح الاستراتيجي الذي حققه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يُعزى إلى قدرته على التبشير بإرادة الله تعالى، وتمكّنه من إيصال رؤيته الاستراتيجية للناس، عن طريق تأثير الوحي الإلهي من خلال القرآن الكريم، وأيضاً باستخدام ألفاظ وأمثال متعددة في السنّة لتوضيح رؤيته، مشددًا في كُلّ ذلك على وحدانية الله وأهمية السلوك الأخلاقي والتماسك الاجتماعي والكرم والقيام بأعمال الخير، بالإضافة إلى الدعوة للدفاع عن الدين والمجتمع.

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يُدرك قوة الكلمة المنطوقة وأهمية استخدامها بإتقان لتوجيه وتعليم أتباعه. فكان يحرص على تقديم حجج واضحة ومنطقية. ففي خطبه ناقش أفكارًا كبيرة حول تأسيس مجتمع عادل ومتكافئ، واستخدم خطبة الجمعة وسيلةً لنشر تعاليم القرآن وللتواصل المباشر مع أتباعه. فكانت خطبه تجمع بين الجوانب الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية. واعتبر الصلاة وخطبة الجمعة وسيلة لتقوية التماسك المجتمعي وتعزيز التواصل بين المسلمين.

ومن جهة ثانية أشار المؤلِّف إلى مسألة استخدام النبيّ محمد صلى الله عليه وسلّم التصميم المعماري للمسجد، والطقوس الدينية لنقل فكرة المساواة بين جميع أتباعه في نظر الله، حيث حدَّد الموقع في الصلاة بناءً على التقوى وليس الثروة أو النسب.

ولما عرَّج المؤلِّف للكلام على القيادة العسكرية في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم؛ وصفه بأنه كان لديه حَدس سياسي وقدرة عالية على التواصل، إضافة إلى فهمه العميق للرُّؤية والاستراتيجية العسكرية، إذ خلال عقد من الزمن

تحول من قائد عسكري قليل الخبرة إلى قائد ماهر وناجح، وعمل على الخروج من التمايزات المختلفة إلى الجيش الواحد. وركز في مناوراته على استراتيجيات الحرب النفسية لمنع القتال وإراقة الدماء، واعتبر الوحدة القيادية أساسية في معاركه. كما أبرز التزامه ودعمه لقادته وجنوده من خلال الدعوة والقُدوة.

إضافة إلى ذلك كان النبيّ محمد صلى الله عليه وسلّم يؤمن بأهمية التفويض المدروس للمسؤوليات، وتطوير قدرات الأشخاص لتحقيق القيادة. فقد رأى أن التفويض يزيد من الإنتاجية والفعالية ويعطي الناس إحساسًا بالتمكين. وطريقته في ذلك أنه يراقب الشباب باستمرار، ويقدر العمل التطوعي وروح الخدمة. وقد أكد صلى الله عليه وسلم على تفويض الشباب نظرًا لصفاتهم المميزة، واستخدم مفهوم القيادة المبنية على المهمة، حيث يثق بقدرة المرؤوسين على اتخاذ القرارات وتحقيق النتائج المرجوة، ويركز على الأشخاص والمهام، ويتسامح مع الأخطاء إذا بُذل جهد حقيقي، لكنه في جانب آخر كان صارمًا في مواجهة السلوكيات غير الأخلاقية.

عاش محمد صلى الله عليه وسلم في عصر ما قبل الدولة، وتفاعل مع مجموعات متنوعة سياسيًا واجتماعيًا في شبه الجزيرة العربية. وعلى الرغم من أنه لا يمكننا تطبيق مفاهيم الدبلوماسية الحديثة عليه، إلا أنّه كان بارعًا في تكوين التحالفات والعلاقات مع القبائل والجماعات المختلفة، وأسس بذلك نوعًا من الحكم يرتكز على المعايير الأخلاقية والاجتماعية، ويهدف إلى خلق عالم يسوده العدل والتقوى من خلال تعهدات الولاء والطاعة.

وختم المؤلّف كتابه بخلاصات أجرى من خلالها مقارنات عامة بين شخصيات وقيادات معروفة، وهي مقارنات في حقيقتها ليست ذات أهمية للفارق بين شخصية محمد صلى الله عليه وسلّم باعتباره رسولا من الله تعالى وبين تلك الشخصيات العامة التي لها ما لها وعليها ما عليها. ومن تلك الشخصيات التي جعلها المؤلّف مناطاً للمقارنة "نابليون بونابرت": فأشار إلى أنه كان قائدًا استثنائيًا بمزيج نادر من القوة العقلية والجسدية، لكنه لم يكن قائدًا دينيًا ولم يقدم أفكارًا جديدة في الروحانيات. أما محمد صلى الله عليه وسلّم فكان له تأثير استثنائي مشابه، لكنه أعطى العالم فكرًا جديدًا حول العلاقة بين الله والبشر بعضهم ببعض، وعمل على تحقيق التوحيد والسلوك الأخلاقي وفقًا لتعاليم الله. كما أنه كان يقدّر قوة التقاليد والشورى، وعمل على تعليم وإقناع أتباعه برؤيته، مع التأكيد على الفوائد في الدنيا والآخرة من خلال الالتزام بتعاليم الإسلام.

وقد ألحق المؤلّف في آخر كتابه مُلحقاً للدروس العملية المستفادة من قيادة محمد صلى الله عليه وسلّم، وجعلها على شكل قواعد تؤسّس للعمل القيادي، وخلص إلى أن الشخصية القيادية لمحمد صلى الله عليه وسلّم أظهرت قدرات قيادية استثنائية، تحققت في تغيير الجزيرة العربية، وتأثيره على مليارات المسلمين عبر القرون.

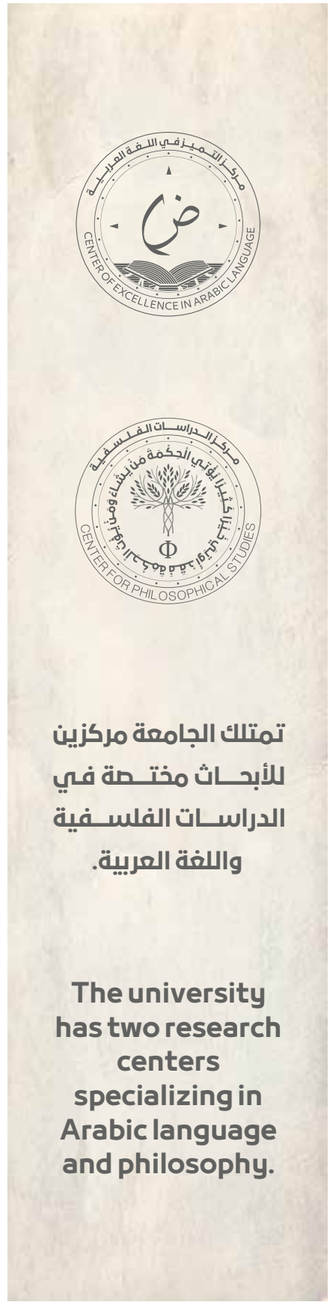

مبادئ الدراسات الإسلاميّة:
ملخّص للمبادئ العشرة للعلوم الإسلاميّة السبعة عشر
Principles of Islamic Studies:
A Synopsis of the Ten Principles for Seventeen Islamic Sciences
Harun Verstaen

قراءة عبد الحميد الراقي
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

خصّص الباحث هارون فيرستان هذا الكتاب الوجيز في حجمه للبحث فيما عُرف لدى العلماء المسلمين بالمبادئ العشرة للعلوم. والقصد من هذه المراجعة التي نقدّمها للقرّاء يتجلى في الوقوف على أمرين اثنين: أوّلهما: تقريب مضامين الكتاب مع بيان الهدف منه لدى صاحبه، وثانيهما: بيان فائدة المبادئ العشرة من الناحية المعرفيّة.

أوّلا: تقديم الكتاب والهدف منه

قسّم الباحث كتابه إلى مقدّمة تحدّث فيها عن الهدف من وضع الكتاب، وبيان أهميّة الموضوع، والإشارة إلى بعض علماء المسلمين الذين تواردوا على التأليف في الموضوع ذاته، ثم عرّج على تصنيف العلوم عند المسلمين مع إبراز للمعايير المعتمدة عندهم في ذلك. ثم أفرد القول في كلّ علم من العلوم السبعة عشر على حدة، لشرح مبادئه العشرة. وقد سار في ذكر تلك العلوم السبعة عشر على ما ذكره محمد بن أبي بكر المرعشي الشهير بساجقلي زاده (المتوفى: 1145 هـ) في كتابه: ترتيب العلوم، حيث اشتمل تصنيفه على جملة علوم، مرتّبة حسب الأولويّة.

يهدف الكاتب من وراء هذا الكتاب على حدّ تعبيره إلى تناول موضوع تقرّر عند علماء المسلمين في مراحل سابقة، لكنّ الدراسات التي كُتبت باللغة الإنجليزيّة في مجال الدراسات الإسلاميّة لم تتطرّق له؛ وهو ما حمله على تأليف هذا الكتاب؛ ساعياً إلى سدّ هذا الفراغ في الدراسات الغربيّة المتعلّقة بالعلوم الإسلاميّة.

تبدو أهميّة التنبيه على مبادئ العلوم بالنسبة لطالب العلم في نظر الكاتب في كونها تمدّ الطالب بخارطة ذهنٍ تعينه على تصوّر مراتب العلوم، إذ بدونها يختلط عليه الأمر، فلا يميّز بينها، وقد لا يتصوّرها حقّ التصوّر؛ لكونها متداخلة فيما بينها، ومترابطة مع بعضها البعض.

وجدير بالذّكر أن المسلمين قد ربطوا في تصانيفهم بين الحديث عن مبادئ العلوم العشرة، وبين مراتب العلوم الإسلاميّة من حيث الأولويّة، فما الذي جعلهم يجنحون نحو ترتيب العلوم وبيان ما يجب تقديمه وما يجب تأخيره؟ أليس تعلّم تلك العلوم -سيما أنها علوم إسلاميّة- مما هو ممدوحٌ شرعاً؟ فعلى أيّ معايير تم ترتيب تلك العلوم؟ وهل لتلك المبادئ العشرة أثر في ذلك الترتيب؟

أورد الباحث هارون فيرستان أن اختلاف المسلمين في التقديم والتأخير كان بسبب اختلافهم في تقسيم العلوم، وقد تحصّل أنها ثلاثة: الأوّل: علوم شرعيّة وعلوم عقليّة، والثاني: علوم الآلة وعلوم الغاية، بعبارة أخرى: علوم خادمة لغيرها، وعلوم مقصودة لذاتها، والثالث: علوم هي فرض عين وعلوم هي فرض كفاية . فتقسيم العلوم إلى شرعيّة وعقليّة هو تقسيم الغزالي في الإحياء، وابنِ خلدون في المقدّمة. وتقسيمها إلى فرض عين وفرض كفاية هو أيضا تقسيم الغزالي في الإحياء. وعليه، فليست العلوم بحسب المعيار الأوّل شرعيّة كلّها أو عقليّة كلّها، كما أنها ليست بحسب المعيار الثاني وسائل كلّها أو مقاصد كلّها، وكذا ليست كلّها من باب فرض العين أو فرض الكفاية حسب المعيار الثالث.

حرص المسلمون على تقسيم العلوم الإسلاميّة وترتيبها لكونها تتفاوت في المرتبة، فليست كلّها على وزن واحد وإن كان النفع مرجوّا منها جميعاً؛ ومن ثم وجب صرْف العناية إلى أكثرها نفعاً وما هو أولى بالتحصيل. وتحديد أكثر العلوم نفعاً راجعٌ إلى بيان موضوعه، وفضْله، والثمرة المرجوّة منه، وهذه المبادئ الثلاثة محدِّدات معتبرة في التقديم والتأخير؛ وبناءً على هذا اعتبر العلماء العقيدة والفقه من العلوم المطلوبة لذاتها؛ لأنها تتضمّن تكاليف الشريعة للإنسان، لكن هذين العلمين إنما يتحصّلان بوسائل؛ لذا قدّموا علوم الآلة، وهي العلوم الخادمة التي بها يمكن تحصيل العلوم المقصودة، وهو ما يظهر من تقسيم ابن رشد الحفيد (ت 595 هـ) للعلوم حيث اعتبر علم أصول الفقه هو العلم الذي به تستفاد المعرفة العقديّة، والمعرفة الفقهيّة.

الترتيب الذي سار عليه فيرستان هو الترتيب الذي كان معتمداً في

المدرسة العثمانية بمصر، حيث كانت تسير على منهاج دراسيّ راعى فيه المدرّسون تدرّج الطالب في تلقّي العلوم السبعة عشر، وقصْد فيرستان أن يبيّن لكلّ علم مبادئه العشرة. أما الترتيب فهو كالآتي: الصرف، والنحو، والفقه، والمنطق، والبحث، والمناظرة، والعقيدة، والبلاغة، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والتجويد، والقراءات، وأصول التفسير، والفرائض، والهيئة، والعروض، والتصوّف. وهذا الأخير غير مذكور في منهاج المدرسة العثمانية، وإنما اختار الباحث ختْم العلوم به جزيا على طريقة السيوطي (ت 911 ه): إشارة إلى أن القصد من هذه العلوم الإفضاءُ إلى تطهير القلب من الأدران وتزكية النفس.

تجدر الإشارة إلى أن خوض المسلمين في الحديث عن المبادئ العشرة للعلوم إنما جاء بعدما توطّد التأليف في تلك العلوم، حيث تمايزت عن بعْضها البعض بالحدّ والموضوع، واستبان القصد من كلّ واحد منها، وظهرت نسبة العلم إلى واضعه؛ لأن الحكم بأولويّة علم على علم آخر إنما تأتي بعد تصوّره، وتبيّن موضوعه، وبيان القصد منه؛ فهذا التراكم هو الذي مهّد للخوض في المبادئ العشرة بقصد إغلام الطالب بمراتب تلك العلوم وأهميّة كل منها.

ثانيا: قضايا المبادئ العشرة

لا يقتصر العلم بالمبادئ العشرة على ما تقدّم ذكره من كونها تحدّد أولويّة علم على علم، بل لها فائدتان تبرزان وعْي المسلمين بمفهوم العلم، وهما:

الأولى تتجلّى في كون تلك المبادئ قد حدّدت الأسس المعرفيّة لكلّ علم من تلك العلوم، فلا يقتصر الطالب -وإن في بداية تعلّمه- على دراسة مسائل معيّنة من العلم فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الإحاطة بأسُس ذلك العلم ولو على سبيل الإيجاز. والناظر بإمعان في المبادئ العشرة يجد أنها اشتملت على قضايا من الأهمّيّة بمكان، نوردها على وجه الإجمال كما نظمها أبو العرفان الصبّان:

إن مبادئ كل علم عشرة
الحدّ والموضوع والثمرة ***
ونسبة وفضله والواضعْ
والاسم والاستمداد حكم الشارعْ***
مسائلٌ والبعض بالبعض اكتفى
ومن درى الجميع حاز الشرفا***

فهناك: حدّ العلم، وموضوعه، وفائدته، ونسبته للعلوم الأخرى، وفضله، وواضعه، واسمه الاصطلاحيّ، وموادّه التي يستمدّ منها، وحكم الشارع فيه، ثم مسائله. وهذه المبادئ هي أسس العلم المعرفيّة التي تعطي للباحث نظرة كليّة شاملة إجماليّة في ابتداء الطلب.

والثانية: أنّ هذه المبادئ هي المعيار الذي به يصحّ إطلاق وضْف العلم على فنّ من الفنون، ومعنى هذا أن هناك فرقاً بين الكلام في بعض المسائل العلميّة وبين الارتقاء بتلك المسائل إلى مرتبة العلم القائم بذاته الذي تحدّد تعريفُه، وأمكن تصوُّره، واتضحت مسائله، ومصادره، وموضوعه، وفائدته، وبان القصد منه، وتحقّق هذا يحتاج لفترات من الزمن تتعاقب على مجموعات علميّة تشتغل على مسائل ذلك العلم؛ فبهذا يصير علماً قائما بذاته، وإلّا بقي الكلام في بعض المسائل -وإن كانت علميّة- يفتقر إلى الأسس المعرفيّة التي يرتكز عليها العلم.

ولقد كان هذا هو منطلق الدكتور وائل حلاق في عدم اعتباره الشافعيّ (ت 204 هـ) أوّل من صنّف في علم أصول الفقه، مخالفاً بذلك جمهور من تقدّم وكذا جملة من الباحثين المعاصرين؛ من حيث إن القرن الثالث الهجريّ لم يكن علم أصول الفقه قد اكتمل النظر فيه بعدُ، وهو رأي له حظّه من النظر من جهة أن رسالة الشافعيّ قد خلت من جملة من القضايا التي برزت من بعدُ على يد أعلام آخرين في أصول الفقه، مثل الباقلاني (ت 403 هـ) والجويني (ت 478 هـ) والغزالي (ت 505 هـ) وغيرهم. فضلا عن أن هناك من سبقه في التأليف في بعض مسائل أصول الفقه، كالإمام مالك في رسالته لليث بن سعد بخصوص عمل أهل المدينة ورد الليث عليه، ومحمد بن الحسن الشيبانيّ الذي وضع ضمن كتابه الفقهيّ: كتابا في الاستحسان، وكتابا في أصول الفقه، وكتابا في اجتهاد الرأي . ولم يعتبرها أحد من العلماء تصنيفا في علم أصول الفقه بالمعنى الدقيق للتأليف العلميّ.

وعليه، فإن ما اعتبرهم الباحث هارون فيرستان مؤسّسين لبعض العلوم ليسوا محلّ تسليم، بل الأمر في حاجة إلى نظر ومراجعة، فقد اعتبر أبا حنيفة (ت 150 هـ) هو مؤسّس علم العقيدة، وبعده محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 ه) ، وأبو حنيفة وإن ألّف كتاب الفقه الأكبر فإنه لا يعدّ تأسيسا لعلم العقيدة بالرغم من خوض أبي حنيفة في مسائل عقديّة فيه؛ للاعتبار الذي أسلفناه قبل.

وتبيانا لأهميّة هذه المبادئ ارتأينا في هذا الصّدد أن نقف مع مبدإ الاستمداد، وكيف حصل التفاعل بين العلوم، متّخذين من علم أصول الفقه أنموذجا لذلك.

ثالثا: الاستمداد

يقتضي مبدأ استمداد العلوم من بعضها البعض النظرَ في علاقة كلّ علم بالعلوم الأخرى، وهي علاقة قائمة على الإمداد والاستمداد. والعلم الذي يجلّي هذه العلاقة على نحو بارز هو علم أصول الفقه، فكيف ذلك؟

يمكن القول إن علم أصول الفقه هو العلمُ الذي انصهرت فيه جملة من العلوم الأخرى وتفاعلت داخله تفاعلا إيجابيّا ما عُرف لغيره من سائر علوم الملّة؛ وهو ما يُعْطيه فرادة وتميّزاً عنها؛ ذلك أنه استطاع أن يستمدّ من علم الكلام، وعلوم اللغة، وعلم الفقه، وعلم الحديث، وكذا من علم المنطق الذي أثر في مراحل معيّنة من تاريخ علم أصول الفقه، قضايا ومسائل، استمداداً لم يكن لمجرّد الاستمداد، بل كان بغاية استثماره في تحقيق الوظيفة المنشودة منه، وهي: تمهيد قواعد الاستنباط، وتذليل طرق الاجتهاد للفقيه؛ "لأن هذا العلم لم يُختصّ بإضافته إلى

الفقه إلا لكونه مفيدا له ومحقّقا للاجتهاد فيه" . فإذا كان الفقه هو الثمرة المرجوّة من الاجتهاد كما يقول الغزالي؛ فإن "البداءة بها أولى؛ لأنها الثمرة المطلوبة" ؛ فإن هذه الثمرة لا تتحقّق من دون علم أصول الفقه.

وقد يتبدّى للبعض بألّا فضيلة لعلم أصول الفقه مادام عبارة عن نُبذ من علوم جُمعت من الكلام، والفقه، واللغة، ولا يبقى بعد ذلك إلا مباحث يسيرة، وهذا لا يستقيم؛ لأن جهود الأصوليّين لم تقتصر على الاستمداد، وإنما تجاوزت ذلك إلى النظم وتدقيق النظر في تلك المباحث، وإتيانهم بما لم يُسْبقوا إليه خصوصاً في المباحث اللغويّة، وهو سؤال أورده السبكيّ (ت: 771ه) في مقدّمة الإبهاج وأفاد في الإجابة عنه.

برنامج البحث العلمي للشباب
6 أكتوبر 2023

تحت شعار «الاستثمار في الشباب استثمار في المستقبل»، احتفت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية ومركز ترينداز للبحوث والاستشارات بتخريج دفعة جديدة من منتسبي برنامج البحث العلمي للشباب، الذي نفذته إدارة التدريب بمركز «ترينداز»، على مدى 6 أشهر في مقره بأبوظبي، بالتعاون مع مركز الاتحاد للأخبار، التابع لأبوظبي للإعلام.

تجديد الدراسات الإسلامية في أوروبا

Renouveau et Dynamiques de L'Islamologie en Europe

مجموعة باحثين

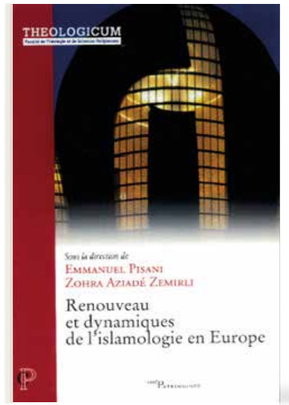

قراءة ريتا فرج
باحثة ومحاضرة في علم الاجتماع

يتزايد في العقود الأخيرة اهتمام الجامعات ومراكز البحوث في أوروبا بدراسات الإسلام، ومردّ ذلك عوامل عدة: أولها، السعي الأكاديمي والرسمي الأوروبي لإدماج الجاليات المسلمة في المواطنة الأوروبية؛ ثانيها، تطوير برامج تأهيل الأئمة وصناعة المرشدين/ المرشدات والقادة الدينيين ضمن مناهج تواكب الثقافة الأوروبية، وتقف حائلاً دون سيطرة المتشددين والإسلامويين على المساجد؛ ثالثها، بناء الدراسات الإسلامية بمناهج جديدة تأخذ من العلوم الإنسانية، وتختلف عن الدراسات الكلاسيكية، وتعمل على "تبيئَتها" في التقاليد الجامعية الأوروبيّة.

يتناول كتاب Renouveau et Dynamiques de L'Islamologie en Europe) "تجديد وديناميات علم دراسة الإسلام في أوروبا" قضايا مهمة ناقشها مؤتمر دولي عقد في المعهد الكاثوليكي في باريس(ICP)، في الفترة من 11 إلى 12 يونيو (حزيران) عام 2021، تمحور حول خمسة محاور: مقاربات جديدة حول "علم دراسة الإسلام" في أوروبا؛ ونظرة شاملة عن البرامج الكبيرة للبحث الأوروبي في "علم دراسة الإسلام"؛ والتحديات والقضايا الاجتماعية الراهنة التي يجيب عنها "علم دراسة الإسلام"؛ وحوار" دراسة الإسلام" مع المناهج الأخرى في العلوم الإنسانية، وأخيرًا، انتشار "علم دراسة الإسلام" خارج المجال الأكاديمي.

جاء الكتاب في أربعة أجزاء مدرج تحتها فصول، شارك فيه باحثون وأكاديميون من أوروبا والعالم العربي. وقد غطت المقالات فرنسا وإيطاليا وألمانيا وسويسرا وبلجيكا وغيرها من الدول، ولم تركز على برامج ومساقات تدريس الإسلام والدراسات القرآنية في الجامعات الأوروبية فحسب، بل تطرقت إلى مراكز البحوث والمجلات العلمية المحكّمة وتأهيل الأئمة.

حاول الكتاب الإجابة عن إشكاليات أساسية: كيف يُعرَّف "علم دراسة الإسلام" (Islamologie)؟ وهل يتعلق التعريف بالسياقات الثقافية والوطنية؟ وما هي العلاقة بين العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية؟ وهل يعود الأمر للمدرسين والباحثين في إجراء تقويم لتأثير "علم دراسة الإسلام" في الطلبة الذين تظهر عليهم علامات التطرف؟ وإذا كان الأمر كذلك، فماذا عن مناهج هذا التقويم ونتائجه؟ وكيف يمكن لعلم دراسة الإسلام أن يُقدَّم من قبل العلماء والدارسين باعتباره اقترانًا مناسبًا بين المعرفة بالعلوم الإسلامية ومصادرها؟ وأيُّ استقبال ممكن لعلم دراسة الإسلام في الجامعات الإسلامية في المجال الأوروبي وغير الأوروبي؟

لعل التحدي المعرفي البارز الذي يطرحه الكتاب، ما المقصود بـ (Islamologie) "علم دراسة الإسلام". إن قراءة سريعة لهذا الحقل المعرفي الأكاديمي تفيدنا بأنه شهد تطورات مهمة لأكثر من قرن "إذ تمّ تدشين المصطلح مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين من قبل ممثلي الجيل الجديد من الاستشراق الألماني مثل: مارتن هارتمان (Martin Hartmann) (1851-1918) وهاينريش توربكه (Heinrich Thorbecke) (1837-1890) وجورج كمبفماير (Georg Kampffmeyer) (1864-1936)، ونُقل كما هو إلى اللغة الفرنسية. استُخدِم للإشارة إلى تعيين الطموح العلمي الجديد لمقاربة الدين الإسلامي كواقعة تامة، لا تشير إلى نظام الإيمان فحسب، ولكن أيضًا إلى مجموعة من الممارسات الاجتماعية والثقافية، أو أنماط التنظيم السياسي؛ كان عليه بعد ذلك تجاوز المقاربة الفيلولوجية الوحيدة للنصوص الكلاسيكية للإسلام، والتي كانت في قلب الاستشراق في القرن التاسع عشر، في سبيل توسيع الدراسة لتشمل كذلك دراسة الحضارة والإسلام المعاصر". تناول ميشال بريغنون (Michele Brignone)، المدير التنفيذي لمؤسسة الواحة الدولية (Oasis International Foundation) في ميلانو، المسار التاريخي لاهتمام "مجلة الواحة" في دراسات الإسلام وبداياته. وعلى الرغم من أن المجلة تأسست حول بناء المعرفة المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين، مع إيلاء قضايا الأقليات في الدول العربية والإسلامية الاهتمام الأكبر، فإنها خصصت مقالات حول الإسلام الكلاسيكي؛ وبدءًا من سنة 2009 اغتنت محاورها بموضوعات عدة من بينها: التقليد (Tradition) العربي الإسلامي. وحمل العدد الأول لسنة 2015 عنوان: (L'Islam à la croisée des chemins: Tradition, Réforme, Djihad) "الإسلام على مفترق طرق: التقليد، الإصلاح، الجهاد"، وتزامن مع صعود تنظيم داعش الإرهابي. أما العدد الثاني الموسوم (La Croix et la Drapeau noir) "الصليب والراية السوداء" فناقش دور مسيحيي الشرق في زمن التهديد الجهادوي. بعد ذلك اهتمت المجلة في ملفات تجديد الإسلام المعاصر والمذاهب الإسلامية، فأصدرت سنة 2018 عددًا عن الإسلام السُنّي وما يمر به من اضطراب وقلق وتحديات التجديد.

تعود الدراسات العربية والإسلامية في "المعهد الكاثوليكي في باريس" إلى القرن التاسع عشر، وتعد من التجارب الفرنسية الرائدة التي عرضها أستاذ اللاهوت إيمانويل بيساني (Emmanual Pisani). وعلى أهمية السجالات الفرنسية حول الدراسات الإسلامية وحدودها، يضعنا الكاتب أمام الدور الكبير الذي لعبه لويس ماسينيون (1883-1962) في تغيير النظرة الكاثوليكية للإسلام ، وتطوير علم الإسلاميات الكاثوليكي، الذي وضع الإسلام في أصل التاريخ الكتابي وأكد أصالته الإبراهيمية. وقد ترك اتجاه الحد الأعلى الذي يمثله المستشرق الفرنسي، تأثيرًا إيجابيًا في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965) والنقاشات اللاهوتية المرافقة لها، والتي كتب عنها وحولها الأب يواكيم مبارك (1924-1995) في كتابيه "الإسلام والحوار الإسلامي المسيحي" و"أبحاث في الفكر المسيحي والإسلام في الأزمنة الحديثة والتاريخ المعاصر" . ويشير بيساني إلى أن "كلية العلوم ولاهوت الأديان" (ISTR) التابعة للمعهد قدمت سنة 1967 أول مساق جامعي "حول المسيحية والإسلام" قدمه الأب ميشال الحايك (1928-2005) صاحب "المسيح في القرآن" .

كتب أستاذ التاريخ في جامعة نانت جون تولان (John Tolan) عن مشروع "القرآن الأوروبي" (EuQu) الهادف إلى دراسة طريقة تأثير القرآن في التاريخ الفكري والديني والثقافي الأوروبي، بين القرون الوسطى وبداية الحداثة، حيث تأطرت الأبحاث حول الفترة الممتدة بين سنتي (1143 و1850) وجاء اختيار سنة 1143 بوصفها تاريخًا رمزيًا، فالمترجم الإنجليزي روبرت كيتون (Robert of Ketton) نقل القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية آنذاك.

تركزت مقالة فرانسيس ميسنر (Francis Messner)، مدير الأبحاث في" المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي" (CNRS) على المشروعين الأوروبيين (Interreg Interreligio) و(Relien) حول الدراسات بين الأديان. ويشكل المشروعان كلاً متماسكًا ومتكاملًا، يحاول الاستجابة بطريقة ملائمة للتحديات التي تفرضها التعددية الدينية والعلمنة، عن طريق الحد من التوترات الدينية، عبر معرفة دين الآخر والتفكير في العناصر المشتركة بين جميع الأديان. أما ميشال يونس، الأستاذ في الجامعة الكاثوليكية في ليون، فعرفنا بـ "المنصة الجامعية للدراسات حول الإسلام" (Pluriel)، التي أنشِئَتْ في أوروبا ولبنان سنة 2014 برعاية اتحاد الجامعات الأوروبية الكاثوليكيّة، والساعية إلى تعزيز العلاقة بين الباحثين المختصين في دراسات الإسلام والحوار الإسلامي المسيحي، وتطوير الدراسات الإسلامية وفقًا للمناهج الحديثة. تَتبِع المنصة تقليدًا قديمًا لعلماء اللاهوت المسيحيين في مجال علم دراسة الإسلام، لا سيما الدراسات الكلاسيكية، ومن الذين كان لهم دور بارز في تطوير هذا الحقل، من بينهم: محمد بن عبد الجليل، لويس غارديه، جورج قنواتي، روجيه آرنالديز، روبير كاسبار، يواكيم مبارك، ميشال الحايك، وغيرهم.

قارَبَ الكتاب تجارب عدد من الجامعات الأوروبية في تدريس الإسلام، عبر توصيفٍ لعدد من المساقات، مثل مساق "الإسلام" الذي يدرِسه ماركوس كنير (Markus Kneer) في "الجامعة الفلسفية اللاهوتية" (PTH) في مونستر. يُلاحظ في التجربة الإيطالية كما قدمتها الأستاذة المحاضرة في جامعة بولونيا إيناس بيتا (Ines Peta) أنها كانت مدفوعة بعاملين: الأول: التأسيس لإسلام إيطالي مندمج مع القيم الإيطالية بالشراكة مع المنظمات والجمعيات الإسلامية؛ والثاني: دراسة التطرف (Radicalisation) في الجامعات والتأسيس لبرامج نزع التطرف وإيلاء اهتمام كبير لتأهيل الأئمة.

يلفت الباحث المغربي عبدالصمد بلحاج نظرنا إلى مؤشرين: المخاطر الناجمة عن إضفاء طابع لاهوتي (Théologisation) على دراسات الإسلام؛ والتقارب من السرديات الإسلامية بشأن الهُويات المسلمة. ومن جهة أخرى ثمة توجس لدى الطلبة من المناهج الجديدة، ففي معهد الدراسات القرآنية التابع للأكاديمية الفرنسية للفكر الإسلامي (AFPI) يبدي بعضهم اهتمامًا قليلاً بالمقاربة التاريخية النقدية، ويرون فيها نهجًا علمانيًا كولونياليًا يهدف إلى قطع المسلمين عن ثقافتهم لدمجهم في الثقافة الغربية.

طرح الجزء الرابع من الكتاب محورين: الأول قدمتْه آن ترووديك (Anne Troadec) حددت فيه تحديات نشر البحوث في علم دراسة الإسلام في "معهد دراسات الإسلام ومجتمعات العالم الإسلامي" (IISMM) الذي أنشئ سنة 1999 داخل "مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية" (EHESS) في فرنسا. والثاني بقلم الباحث والأكاديمي في جامعة ليج مايكل بريفو (Michael Privot)، عرض فيه مكانة علم دراسة الإسلام في المعهد الأوروبي لتأهيل الأئمة.

تأتي أهمية الكتاب من الثورة المعرفية، التي يشهدها القرن الحادي والعشرون، في "علم دراسة الإسلام" داخل الجامعات الأوروبية، الساعية لإدراجه في العلوم الإنسانية ومناهجها. فرض هذا الاستحقاق الأكاديمي، التحولات الاجتماعية والتحديات السياسية والسجالات الثقافية، مما قد يساعد على فهم أعمق للدين الإسلامي وتمثلاته خارج التفسيرات النمطية. ويرافق هذه الجهود الجامعية، اهتمام ملحوظ في ترشيد الخطاب الديني داخل المساجد بالتعاون مع المنظمات الإسلامية، وتأسيس لبرامج تأهيل الأئمة ونزع التطرف للحد من الظاهرة الإرهابية ومخاطرها في أوروبا.

المشاركة في
معرض فرانكفورت الدولي للكتاب
18 أكتوبر 2023

شاركت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب 2023، الذي عقد في شهر أكتوبر بألمانيا. واشتملت مشاركة الجامعة على تنظيم 9 محاضرات علمية قدمها نخبة من أعضاء الهيئة التدريسية بالجامعة، إلى جانب المشاركة بنحو 17 إصدارا باللغتين العربية والإنجليزية، تضمنت الرسائل البحثية والكتب العلمية والبحوث التي شاركت بها الجامعة في عدد من المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية، بالإضافة إلى عرض مجلة "قراءات الكتب" التي تصدرها الجامعة بالتعاون مع الأرشيف والمكتبة الوطنية.

قبل تقنين الكتاب المقدس:
السلطة في بداية المسيحية

Before There Was a Bible:
Authorities in Early Christianity

Lee Martin McDonald

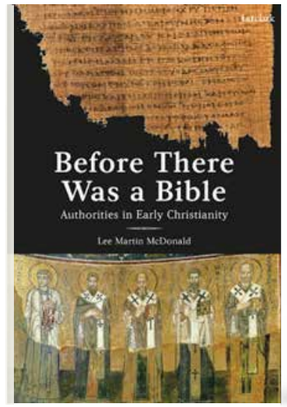

قراءة براين رايت
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

تعد الكتب المقدسة أعمدةً أساسيةً للتراث الإبراهيمي، يلجأ إليها أكثر من مليارَين ونصف من الجنس البشري؛ للاسترشاد بها في سبيل الإيمان بالإله الواحد، فاليهودية والمسيحية والإسلام ترشد المؤمنين بها إلى سبيل التعامل مع الله وعبادته ومع شركائهم في الإنسانية، سواء داخل التراث الديني نفسه أو خارجه. إن الإنجيل، أو بالأدق الأناجيل الأربعة ورسائل تلاميذ المسيح التي يتكون منها ما يسمى في المسيحية بـ"العهد الجديد"، لم يصل إلى شكله المعروف عند المسيحيين في أيامنا هذه إلا بعد قرون من الجدل حول طبيعة المسيح وتفاصيل رسالته.
لقد قاد تطور الأبحاث في تاريخ الدين المسيحي علماء الآثار إلى اكتشاف العديد من الأناجيل والكتابات الأخرى، التي تعود إلى القرون الأولى، حيث تم تداولها بين مجموعات متفرقة من اليهود، الذين انشقوا عن اليهودية ودعوا إلى اتباع ميثاق جديد مع الله، تمثل في حياة عيسى بن مريم وكلماته.
ولعل المرء يتساءل: كيف تكوَّن النص الأساسي للمسيحية الذي نجده بين أيدينا اليوم؟ وكيف تعامل المسيحيون الأوائل مع النصوص والكتابات المختلفة في ممارساتهم الدينية؟ وبشكل أعم، كيف كانت المسيحية "قبل وجود الكتاب المقدس؟" يقدم " لي مارتن ماكدونالد (Lee Martin Macdonald)" أستاذ دراسات العهد الجديد والرئيس السابق لكلية "أكاديا" اللاهوتية في كندا، مناقشة لهذه الأسئلة في كتابه الجديد. وقد كان الدافع لتأليف هذا الكتاب مشاركة ماكدونالد في المجتمع المسيحي في كندا، وهو ما جعله يلاحظ عبر السنين أن معظم المسيحيين الذين يحضرون القداس في الكنيسة لا يعرفون الكثير عن الكتاب المقدس، باستثناء مفاهيمه الأساسية، ولا يهتمون بدراسته بشكل عميق. فهم يفضلون المشاركة الفعالة من خلال الاستماع إلى الوعظ والغناء والصلاة، لكن هذه الصورة، في رأي ماكدونالد، هي عكس ما نراه في الأبحاث التي تتناول تاريخ المسيحية، تلك التي تركز على نصوص الكتاب المقدس رغم أن شكله لم يستقر إلا بعد القرن الرابع الميلادي؛ لذا فلا يمكننا أن نستخلص منه الكثير عن المجتمع المسيحي قبل جمعه؛ إذ يرى ماكدونالد أنه من اللازم تقديم صورة لتاريخ بداية المسيحية بشكل مختلف، عن طريق البدء بدراسة المجتمع المسيحي الناشئ ثم دراسة النصوص التي استخدمها، وليس العكس، أي استخدام النصوص للوصول إلى صورة المجتمع.

يبدأ ماكدونالد الفصل الأول بالحديث عن اليهودية مذكراً القارئ أنّ المسيحية لم تبدأ دينًا مستقلًا، بل انبثقت عن اليهودية. فلقد كان عيسى بن مريم يهوديًا، وُلِدَ وعاش وصُلِبَ في فلسطين الرومانية وسط شعب أكثره يهود. وكان تلاميذ المسيح، بولس وبطرس وغيرهما، يهودًا أيضًا، لم يكونوا يرومون الانشقاق عن اليهودية. إننا نجد أنه حتى على مستوى الممارسات، هناك تشابه كبير بين طقوس اليهودية والمجتمع الجديد(المسيحية)، من ذلك طقس المعمودية (Baptism) حيث يعلن من خلاله المرء عن دخوله إلى الجماعة المسيحية، هذا الطقس يشبه طقس الغسل (Mikva) في اليهودية، الذي يرفع عن المرء النجاسة ويسمح له بدخول المعبد والمشاركة في المجتمع؛ لذلك لا يمكننا أن نصف أتباع المسيح بـ "المجتمع الديني الجديد" في القرنين الأول والثاني الميلادي، بل من الأفضل أن يُفهم هذا المجتمع على أنه حركة يهودية ليست بعيدة عن الحركات الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة. فعلى سبيل المثال، كان هناك الفريسيون (Pharisees) الذين دعوا إلى اتّباع شريعة موسى من خلال "التوراة الشفوية" أو "تفاسير الحاخامات الكبار وأحكامهم". وقد تطورت هذه الحركة فيما بعد إلى اليهودية الحاخامية (Rabbinical Judaism) التي تمثل أغلب يهود العصور التالية، إذ تأسست آراؤها على التلموديين (البابلي والقدسي) اللذَين يحتفظان بالتراث الشفوي لعلماء اليهود، وعليه فلابد أن

توضع المسيحية في إطار هذا النسيج من الحركات والآراء الدينية في القرون الأولى.

إن الفرق الرئيس بين اليهودية الحاخامية والمجتمع الجديد هو أن الخلاص بالنسبة لليهودية لا يأتي إلا من خلال اتباع الشريعة، بينما يرى المجتمع الجديد أن الاعتراف بمكانة عيسى ابنًا لله، والاعتراف بأنه هو المسيح الذي بشرت به النبوة اليهودية كافٍ ليصبح المرء مشمولا في الميثاق الإلهي ومن ثَمّ يدخل "ملكوت الله" ومثّل هذا الفرق أساساً بُني عليه المجتمع الجديد، وعليه لم يشترط هذا المجتمع الجديد للقبول بأعضاء جدد فيه اشتراطات كانت موجودة في المجتمع اليهودي كالالتزام بأحكام يوم السبت، والختان، الذي هو من أبرز الطقوس لدخول المجتمع اليهودي للرجال. وامتد الخلاف بين المجتمعين خلال القرنين الأول والثاني إلى المجال العقائدي، فنجد اليهود يتهمون المجتمع الجديد بالخروج عن التوحيد لأنهم يدعون إلى اتباع "ابن الله"، بينما على الجانب الآخر يرى هذا المجتمع الجديد (المسيحي) أن اليهود قد ضلوا السبيل بسبب إنكارهم المسيح وتمسكهم بالشريعة القديمة؛ لذا فقد أدت هذه الخلافات في نهاية المطاف إلى انفصال المجتمع الجديد عن اليهودية ليكون دينًا جديدًا هو المسيحية، وانعكس هذا الانفصال على النصوص المستخدمة في المجتمع، من ذلك أن المسيحيين اعتمدوا على الترجمة اليونانية للتوراة (Septuagint) بينما رفض اليهود الحاخاميون هذه الترجمة وفضلوا البقاء على النصوص العبرية القديمة.

يمضي ماكدونالد في بحثه عن المجتمع المسيحي الناشئ، فيعرض لنا في الفصل الثاني كيف تعامل هذا المجتمع الجديد مع الاختلافات العقائدية التي دارت بين أعضائه بعد الانفصال عن اليهودية. فيقدم ماكدونالد أربع حركات، وسمتها المسيحية بالـ "هرطقة"، التي ظهرت في بداية القرن الثاني الميلادي. أما الأولى فهي الإبيونية (Ebionism) التي تؤمن بأن عيسى ليس لديه ذات إلهية وأنه لابد من العودة إلى الشريعة اليهودية، وأما الثانية فهي المرقيونية (Marcionism) التي رفضت أي تشابه بين اليهودية والمسيحية ودعت إلى إخراج النصوص اليهودية من المجتمع، وأما الثالثة فهي الغنوصية (Gnosticism) التي فسرت حياة المسيح بطريقة مجازية ودعت إلى الخلاص، من خلال طقوس خفية لا يعرفها إلا أتباعهم، بينما الرابعة هي المونتانية (Montanism) التي اعتقدت أن الوحي لم ينقطع من بعد المسيح وأنه في إمكان أي شخص التواصل المباشر مع الله والإتيان برسالة جديدة.

من هنا يقدم ماكدونالد أهم رسالة في الكتاب، تربط بين أجزائه المختلفة، وهي أن "عيسى بن مريم رئيس الكنيسة، واتباع كلماته هو الطريق الوحيد للخلاص والنجاة". ذلك هو المبدأ المشترك في المسيحية، بداية من كونها مجتمعًا يهوديًا داخل نسيج من الآراء الدينية والحركات الاجتماعية، ومرورًا بالتعامل مع حركات الهرطقة. ولتأكيد هذا المبدأ، استند المؤلف إلى "الآباء المؤسسين" للكنيسة مثل إيرينيؤس (ت: 202 م) وترتليان (ت: 230 م)، فيذهب إلى أنّ ما كان يسمى بـ"قانون الإيمان" (Regula fidei) في كتابات هؤلاء العلماء الأوائل هو العنصر الذي أنقذ المسيحية من الهرطقة، وساعد المسيحيين في تكوين الأسس العقائدية في المجامع الكنسية اللاحقة، كذلك الذي انعقد في نيقية سنة 325م.

يتابع المؤلف شرح تفاصيل هذه الرسالة وتطبيقاتها في أربعة فصول: الثالث والخامس والسادس والسابع. فيكتب في الفصل الثالث عن حالة الكتابات الدينية في المجتمع المسيحي الناشئ، مشيراً إلى أن المسيح استند إلى نصوص مختلفة من التوراة في كلامه مع تلاميذه، ولم يفضل نصوصاً بعينها. هذا بجانب أنه لم يدع تلاميذه إلى كتابة كلماته؛ لذا كانت رسالة المسيح شفوية من دون نص مستقل، ونشأت الأناجيل نتيجة لعملية كتابة لاحقة بناءً على إلهام إلهي وليس من المشاهدة المباشرة لحياة المسيح. على هذا النمط تكون المجتمع المسيحي في القرنين الأول والثاني، فلم يعتمد المسيحيون أي نصوص في طقوسهم أو ممارساتهم. ويوضح ذلك الأمر أن الأناجيل الأربعة (مَتّى، مرقس، لوقا، ويوحنا) كانت تُستخدم مع غيرها من الكتابات عاملًا مساعدًا للوصول إلى الرسالة المطلوبة (قانون الإيمان) ولكن بدون سلطة "النص الديني". ولاحقا تحولت هذه الرؤية للأناجيل إلى نصوص مقدسة بنهاية القرن الثاني الميلادي.

في الفصل الخامس يتناول ماكدونالد موضوع "تقديس الأناجيل" بتعمّق، حيث يُجيل النظر في قوائم الكتب (Lectionaries) التي وُجدت في الكنائس الأثرية واحتوت على الكتب "المسموح بها" للاستخدام في القداس عند كل مجتمع محلي. فيشير إلى أن العلماء في مجال تاريخ المسيحية يتجاهلون هذه القوائم لأن الكثير من الكتب المذكورة فيها، باستثناء بعضها، لم تصل إلينا أو لم يتم العثور على مخطوطاتها حتى الآن؛ لذلك يرون أنه لا يمكنهم الحكم على تأثير هذه الكتب في تكوين المجتمع المسيحي الناشئ بدون معرفة محتواها. لكن المؤلف يفند دعواهم قائلاً إن مجرد وجود هذه الكتب في قوائم من بلاد متفرقة كروما وطرابلس (الغرب) وفلسطين واليونان يؤكد وجود أفكار دينية مشتركة بين هذه الكنائس، وأنه يمكننا تفسيرها على أنها ظهور لـ"قانون الإيمان" على أرض الواقع.

ينهي ماكدونالد هذا الفصل بتقديم نبذة قصيرة عن تاريخ المخطوطات في التراث المسيحي، مشيرًا إلى أن هناك اختلافات لا حصر لها بين المخطوطات في القرون الأولى من المسيحية؛ الأمر الذي يجعل الاعتماد على "قانون" موحد بين الكنائس أكثر أهمية.

يربط ماكدونالد بين الفصل الخامس والسادس في الكتابة عن "الأسماء المقدسة (Nomina sacra)". وهي اختصارات لأسماء الذات الإلهية أو المسيح في مخطوطات الأناجيل. فعلى سبيل المثال، كان ناسخ المخطوطة يكتب كلمة "ثيوس" (Θεος) بمعنى الله هكذا(Θς)، أو كلمة "كريستوس" (Χριστος) بمعنى المسيح هكذا(Χς). ويذهب المؤلف إلى أن هذه الأسماء التي ظهرت في أقدم المخطوطات المتاحة للأناجيل تشبه كثيرًا تعامل اليهودية مع اسم الله المذكور في التوراة (יְהוָה) إذ لا يُلفظ في أثناء القراءة، ويتم اختصاره هكذا (השם) بل قد يختصر لـ(ה') احترامًا للذات الإلهية.

وهذه الأسماء بالنسبة للمؤلف لا تدل على احترام المسيحيين لله والمسيح فقط، بل تؤكد كذلك الارتباط الشديد بين اليهودية والمسيحية، فضلاً عن تأكيدها المذهب القائل بأن هناك رسالة مشتركة بين المجتمعات المسيحية المختلفة من أول ظهور للدين الجديد.

في الفصل السابع يكمل ماكدونالد بحثه عن القرون الأولى للمسيحية، من وجهة نظر الأناجيل والكتابات التي لم تُدرج في النسخة النهائية للكتاب المقدس. فيخلص إلى أن هذه الكتب "غير القانونية" - أو "الخاصة" أو "المنحولة" (apocrypha) في اللغة اللاتينية - كان يتم تداولها بين المجتمعات المسيحية في قرونها الأولى، وأنها أثرت على تكوين الرؤية العقدية التي قُنِّنَتْ في المجامع الكنسية في القرون اللاحقة. يقول ماكدونالد إن هذه الأناجيل والكتابات غالبًا ما كانت تكتب باسم مؤلف غير المؤلف الحقيقي، وبعض الباحثين المعاصرين يشككون في نسبة الأناجيل الأربعة القانونية إلى أصحابها، فعلى سبيل المثال يرون أنْ ليس هناك أدلة قاطعة بأن "متّى" هو الذي كتب إنجيل "متّى" بشكل كامل، صحيح أنه قد نجد بعض الأجزاء يمكن القول إنها لـ "متى" لكن الإنجيل النهائي نفسه قد مر بعملية جمع وتعديل قبل انضمامه إلى قائمة الأناجيل القانونية. وعندما نصل إلى القرن الرابع والمجامع الكنسية الأولى نرى الكنيسة ترفض أي إنجيل لم يتم التأكد من هوية مؤلفه، وفي هذا الصدد يشير ماكدونالد إلى أن "هوية المؤلف" لم تمثل إشكالاً لقبول الإنجيل في الكنيسة في القرون الأولى؛ إذ كان تركيز المجتمع المسيحي منصبًا على المحتوى ومدى توافق هذا الإنجيل مع "قانون الإيمان".

بعد استقراء بعض فصول هذا الكتاب، يجد فيها القارئ بعض نقاط الضعف، منها أنه لا يمكننا تناول المجتمعات اليهودية التي انشقت عن دينها الأصلي وكونت المسيحية في بداية القرن الثاني الميلادي إلا من خلال النصوص التي وردتنا؛ وبالتالي فلا يمكن تقديم تصور للمجتمع المسيحي الناشئ " قبل وجود الكتاب المقدس"، وهو الهدف الذي أراد ماكدونالد تحقيقه وصرح به في مقدمة كتابه. ومثال ذلك أن القارئ سيجد أن أغلب المصادر التي اعتمد عليها ماكدونالد هي اقتباسات من الأناجيل نفسها، ومعظم هذه الاقتباسات من الأناجيل القانونية (Canonical Gospels)، وإن كان المؤلف قد حاول في الفصل الرابع تفادي هذا الإشكال من خلال استخدام مصادر أخرى كالأغاني والترانيم. وهناك مأخذ آخر فيما يخص "منهجية الكتاب" وهو أن اعتماد ماكدونالد على "قانون الإيمان" كرابطة بين هذه المصادر النصية وغير النصية - سواء النصوص التي دخلت النسخة الرسمية للكتاب المقدس أو غيرها - أمر يحتاج إلى حكم مسبق من القارئ، وهو ما لا يتحقق إلا لقارئ مسيحي، أو على الأقل معترف بوجود العقيدة المسيحية على النمط الذي يراه ماكدونالد في هذه الفترة المبكرة؛ لكي ينسجم مع رسالة الكتاب.

في الختام، يقدم كتاب ماكدونالد رؤية قوية لبداية التاريخ المسيحي، ويسلط الضوء على التنوع العقدي من خلال حركات الهرطقة مثلاً، والتنوع النصي الذي حدد ملامح هذه الفترة. كما يبرز هذا الكتاب درجة التشابه والاختلاف بين اليهودية والمسيحية في القرنين الأول والثاني الميلادي، وكيف تم توظيف النصوص الدينية اليهودية من قِبَل المسيحيين الجدد في تكوين دينهم الجديد.

إننا ندعو الباحث العربي، خاصة المسلم، إلى النظر في إمكانية تطبيق الرؤية التي يقدمها ماكدونالد، في تحليل التاريخ الإسلامي. فمثلاً استخدامه لفكرة "قانون الإيمان" أو الفكرة الرابطة بين كل الحركات الاجتماعية والدينية عبر فترات تاريخية مختلفة، قد يفيد الباحث المسلم في تناول الخلافات بين علماء الكلام في القرون الأولى الهجرية ليصل إلى الرسالة المشتركة بينهم رغم كل الآراء المتفاوتة.

من زاوية أخرى، قد يكون من المفيد للباحث المسلم البدء بدراسة المجتمع المحيط والنظر في أحواله قبل تحليل النص، أي القرآن والسنة النبوية كمصادر أساسية للتراث الإسلامي، أو بمعنى آخر إدخال المزيد من طرق التحليل التاريخية في دراسة الدين الإسلامي. هذا يعني أن يدرس الباحث الثقافات المحيطة بالحجاز والمجتمع المسلم الناشئ في القرن السابع الميلادي، ليستنتج منها رؤية جديدة للنصوص القرآنية. على سبيل المثال، قد تُفهم قصة السيدة مريم في السورة التي تحمل اسمها من مطلع قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ...) (سورة مريم، الآية:23) إلى قوله تعالى: (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...) (سورة مريم، الآية: 26) على أنها ليست نادرة أو خاصة بالتراث الإسلامي، بل هي جزء من نسيج غني من القصص حول السيدة مريم، ويؤكد من خلالها القرآن مكانة مريم في الدين، ويوجه رسالة واضحة لمن عاش في هذه الفترة التاريخية وبعدها.

إن طريقة البحث هذه قد استخدمت بالفعل في الكثير من الدراسات الغربية بدايةً من النصف الأول من القرن الماضي، ولها سوابق أيضًا في التراث الإسلامي في كتابات المؤرخين في العصر الذهبي للحضارة العربية؛ لذا فقد آن الأوان للمسلمين أن يبحثوا بهذه الطريقة مرة أخرى للوصول إلى تصور أرحب للتاريخ الإسلامي ولتطور مجتمعات المسلمين.

الكتاب المقدس العربي الحديث:
الترجمة والانتشار والتأثير الأدبي
The Modern Arabic Bible
Translation, Dissemination and Literary Impact
Rana Issa

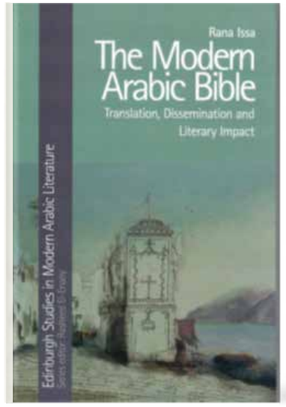

قراءة محمد تمام الأيوبي
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يتكوَّن الكتاب من 236 صفحة من القطع المتوسط مع الملاحق، وقد وزِّعت موضوعاته على خمسة أقسام، ركزت في معظمها على تجارب ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، بأيدي مترجمين معروفين وفق منهجية توليدية نصية ذات مرجعيات عدة، ويعد هذا الكتاب واحدًا من الأعمال الرائدة التي تستكشف تأثير الكتب والقراءة في حياة البشر عمومًا، على اختلاف موضوعاتها، إذ يسلط الكتاب الضوء في هذا العصر الحديث الزاخر بالتاريخ والأحداث والأديان وتفرعاتها على الأهمية المتزايدة للمعرفة ودورها في تشكيل ثقافتنا وأفكارنا.
علاوةً على ذلك، يقدِّم هذا الكتاب دراسةً شاملةً عن تأثير ترجمات الكتاب المقدس في التفكير البشري وتطور المجتمعات عبر العصور، وذلك من خلال تحليل عميق وشامل، يتناول ترجمة الكتاب المقدس ونشره وتأثيره الأدبي، ليقدم نظرة عامة تلقي الضوء على تاريخ الكتاب عمومًا، وتاريخ تطور الكتابة منذ الأزمنة القديمة حتى الوقت الحاضر.
أما من حيث المنظور التخصصي، فيقدِّم هذا الكتاب مجموعةً من الفصول التي تدرس التجارب الحياتية واللغوية والنصية، والتي يمكن تطبيقها على حياة القراء اليومية لتعزيز فهمهم واستفادتهم من حيثيات هذا الكتاب الذي يدعو القراء إلى التفكير بعمق في الدور الذي أدّاه الكتاب المقدس في تشكيل وعي الأمم والأفراد على حد سواء.
وبوصفه كتابًا ملهمًا، يمكن للقراء استخدام محتواه لتعزيز معرفتهم وتوسيع آفاقهم من خلال المثاقفة النصية التي توفر نظرة فاحصة لبيان منهج تأثيره في الأدب والثقافة والتطور الاجتماعي.
يتناول هذا الكتاب تاريخ ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية في الأزمنة الحديثة، بوصفه واحداً من المساحات النقدية الرئيسة التي شكلت تساؤلاتنا فيما يتعلق بمشكلة الحداثة. ويُظهر متن الكتاب ذلك، إذ يقدم الكتاب المقدس مثالًا نادرًا للعامل الزمني وتأثيره في عملية الترجمة، من خلال المقارنة بين أبطال الدعوة التنويرية الغربية والمترجمين المحليين مثل بطرس البستاني (1819-1883) وأحمد فارس الشدياق (1804-1887)، فقد استكشفت المؤلفة رنا عيسى الزمن في سياق الترجمة من أجل تسليط الضوء على بدايات بعض الأفكار في الماضي التي نحملها اليوم. فهي تؤكد على زمنيات الترجمة التي تربط الكتاب المقدس بالحداثة، وتضع معايير توضح كيفية تأليف الكتب، ونقلها، وانتشارها، وقراءتها. وتقترح أيضًا أن زمنيات الترجمة ليست مقتصرة فقط على تعريف "فالتر بنيامين" للترجمة ك "حياة بعد الموت" لنص معين، بل تتضمن أيضًا عمليات زمنية أكبر تتوسط في كيفية تصور الكتاب المقدس كنص حديث بالغ الأهمية في القرن التاسع عشر.
فضلاً عن ذلك، ومن خلال اللجوء إلى الكتاب المقدس لاستكشاف التغييرات في تصور اللغة والأدب العربي في الحداثة؛ تقترح المؤلفة أن التاريخ الأدبي من منظور الترجمة لا يمكن أن يخضع للتخصيص اللغوي – كما يُقترح غالبًا في دراسات الترجمة واستخداماتها الحالية لمفهوم "عدم الترجمة". لذا فهي تلجأ إلى تاريخ المفاهيم وتركز على الزمن، وتقترح نظرية "الزمنيات المتعددة" في دراسات الترجمة من أجل التوصل إلى أن "الكلام على الحداثة" هو استجابة لغوية، تدخل في تحولات الاقتصاد السياسي للعولمة التي يمكن تجسيدها في العديد من الكائنات، بما في ذلك الكتاب المقدس وتحوله إلى سلعة تبادلية.
تتطرق المؤلفة في كتابها "الكتاب المقدس العربي الحديث" إلى أن الترجمة أدت إلى عمل متزامن، وأن هذا العمل أدى إلى تحديد هذه الممارسات بالحداثة. وبالتالي: فإنها ومن خلال هذا الكتاب، تهدف إلى متابعة هذا الادعاء بشأن عمل الحداثة نحو التشابكات التي تكشف عن التفاوض على حداثة مشتركة تظل غير قابلة للقياس بالنسبة لذاتها، مع معايير قياس نسبية فقط.
وبناءً على ذلك: فإنّ مهمة دراسة الترجمة تصبح المفتاح للولوج إلى فهم كيفية استجابة أيديولوجيات اللغة والأدب للسياق التاريخي وتشكيله. وفي هذا السياق، تختار التفاصيل التي تكشف كيف تم إنتاج الكتاب المقدس كسلعة (عيّنة) تبادلية. وتشير أيضاً إلى أن الترجمة ليست مجرد نشاط تقني فقط، وليست فرصة لتداول النصوص عبر الحدود اللغوية فقط، بل هي حدث متوقف على النية وتوسط الديناميات التاريخية للسياق الخاص بها؛ إن الترجمة تستمر وتمدد التقليد، وتحول النص إلى تقليد، بالإضافة إلى تيسير استمرارية النص الماضي لزمن جديد.
لقد أصبح الكتاب المقدس حديثًا عندما أصبح إنتاجه متوسطًا في الخطاب الذي كان من المقرر أن يفصل القرن التاسع عشر كعصر مختلف تمامًا عما سبقه بحيث تمت تسميته بعصر النهضة، أي الانبعاث الذي جاء بعد فترة من الانحطاط أو التراجع. فمن خلال اعتبار ديناميات الزمن المتعلقة بالاستمرارية والانقطاع بجدية؛ يستكشف "الكتاب المقدس العربي الحديث" كيف أدت هذه الزمنيات إلى تشكيل عراقة الترجمة باعتبارها مهنةً تعدُّ طرفًا هامشيًا في مجال الأدب، ويدرس تأثيرها في عالم الأدب الناشئ، فيفحص التحولات في مواقف الترجمة واستخداماتها كممارسة أدبية حديثة قادرة على تحديد مكانة اللغة المحلية في جمهورية الأدب العالمية. ويشمل هذا الكتاب آثارًا توضح كيفية تصورنا لجاذبية السوق الأدبية العالمية، ويطرح بعض الافتراضات حول الترجمة ودينامياتها منذ القرن التاسع عشر.
أما فيما بين طيات عصر النهضة؛ فإن الكتاب المقدس يسرد التاريخ من خلال المفاهيم الزمانية التي لا يمكن ترجمتها، وكما يُرى من خلال عدسة الترجمة، إذ تعطى الأولوية للغة، ويُعدُّ اسم الفترة ككائن للتحقيق. غير أن المخاطرة في مثل هذا النهج تكمن في أنه يتجاهل الزمن المتجاوب، ويكبح التاريخ الثقافي نفسه الذي سعى إلى "مقارنته"، من أجل تقويض الزمن الأوروبي الذي يهيمن على الأدب العالمي. إن التعريف الجغرافي لزمان معين بأوروبا ما زال موجودًا في استكشاف الترجمة وبشكل صارم ضمن نموذج ما بعد الاستعمار الذي يرتبط بفكرة أوروبا زمنيًا بالإضافة إلى زمان الاستعمار الذي ما يزال بعيدًا عن الاستقرار وبعيدًا عن كونه كائنًا يمكن التحكم فيه علميًا.
بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الكتاب المقدس هو نص مشترك ينتمي إلى الكنائس المنظمة بين المجتمعات الشرقية والغربية، ويعبر عن جغرافية محددة وتاريخ طويل من التبادل الديني والتجاري والسياسي. إنه يجسد القوى المتزامنة التي تربط هذه المجتمعات ببعضها. وهو بوصفه كتابًا مقدسًا؛ فإنه يُعامل بشكل مختلف في الكنائس المختلفة، ويخضع لتقاويم وممارسات طقوسية متباينة. فـ"الزمانيات" التي ينتمي إليها متنوعة ومتشابكة، وتتعارض وتتزامن في الوقت ذاته.
وفي سياق ترجماته العالمية، أصبح الكتاب المقدس باللغة العربية، إلى جانب الكتب المقدسة الأخرى التي تم إنتاجها في ذلك الوقت - وهذا ما يشير إليه فالتر بنجامين- ك "جزء من إناء": أجزاؤه محكية من "لغة أعظم"، وهي لغة تجعل اللهجات المحلية المختلفة في العالم تصبح كأنها ذات قرابة مباشرة، حيث تنبثق كلها من مصدر نقي.
تتعامل هذه الاستعارة حول الإناء كمصدر نقي مع التزامن، وإن كان غير متوازن زمنياً، من خلال صورة الشريحة، بشكلها الفريد وغير القابل للتكرار الذي يشترك مع شرائح أخرى غير منتظمة في موقع تكون فيه جزءًا من الكل.
تكشف القصة عن ظهور الترجمة على أنها مجال لترسيخ رؤية عالمية مشتركة، ووسيلة للوجود، تعتمد على افتراضات حول قوة بعض الكتب لتحولات الناس والعلاقات الفاعلة فيما بينهم. وتعالج أيضاً كيفية إعادة تعريف ثقافة الترجمة الناشئة عن هذه العلاقات القوية تنافسيًا، على أساس بعض الممارسات اللغوية والأدبية التي تم اعتمادها لزيادة نشر النص وقراءته.
وتبحث أيضًا في ظهور الترجمة من خلال الكتاب المقدس، لما توسطه من زمانيات حديثة ترفع الجديد إلى قيمة يجب متابعتها والاحتفال بها.
أما ما يميز المشرق العربي فيتمثل في أهميته التاريخية كموقع أصلي للمسيحية، إنه المكان الذي وُلد فيه يسوع المسيح وعاش، وحيث اجتُرحت المعجزات والعجائب، وحيث تمت أيضًا رؤية الرسول بولس بعد أن أصابه العمى، ومن ثم كانت استعادته لبصره، حيث كان العديد من المسيحيين موجودين باستمرار.
إن هذا المشرق هو أيضًا المكان الذي قضى فيه القديس "جيروم" سنوات عديدة وهو يعمل على النسخة اللاتينية "الفولجاتا"، وهو موقع سقوط الإمبراطورية البيزنطية، وسلسلة الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية، والمكان النائي في سيادة الدولة العثمانية، إلى أن تم تجديده في الآونة الأخيرة، كمكان مركزي لخطابات صراع الحضارات.
كان الدعاة الأمريكيون الذين نشروا الدين في الشرق، في القرن التاسع عشر، على علم بحدة التداخلات التاريخية التي أضافت طبقات تاريخية معقدة إلى السرد التاريخي الخاص بهم عن منطقة المشرق، فقد سعى الأمريكيون لإصلاح كيفية تقبّل الكتاب المقدس تقليدياً من قبل العوام. ولذلك، كان عليهم التعامل مع موقف الكتاب المقدس الثانوي بالنسبة للعرب. فقد وجدوا أنه من خلال لغةٍ ترتفع فيها ظلال القرآن بقوة؛ فسوف يتم تحقيق تأثير أكبر من خلال التماشي مع اتجاهات الأغلبية النخبية، بدلاً من اللجوء إلى الممارسات اللغوية الخاصة بالجماعات الضعيفة.
وبوصفه منتجًا عبر الطوائف الناشئة في المجتمعات اللبنانية، بشكل يتناسب مع الأذواق الموروثة للأدباء الذين اعتادوا على المخطوطات، تم ترويج هذا الكتاب المقدس ككتاب حديث بالضبط، لأنّ المترجمين تمكّنوا من اختيار كيفية استمراره في التقليد. ونتيجةً لذلك، عندما ادّعى المترجمون أنهم استبعدوا الترجمات السابقة

للكتاب المقدس من قائمة مراجعهم، وأنهم قاموا بترجمتها فقط من لغات الكتاب المقدس الأصلية، التي حددتها صفحة العنوان كاليونانية والعبرية، كانوا يدّعون ضمنيًا تفوقهم في المنافسة.

إن ما ساعد أيضًا في تعزيز تفوق هذا الكتاب المقدس في أعين القراء المحليين هو مكانة "فان دايك" كرجل تعليم وسلطة طبية كبيرة لها علاقات ممتازة وغير تحكمية مع المجتمعات الأصلية في بلاد الشام. كان وصول الدعاة الأمريكيين إلى بيروت عالمًا مختلفًا تمامًا عن تاريخ ترجمة الكتاب المقدس قبل القرن التاسع عشر.

وهكذا، قام الأمريكيون بتجارة الكتاب المقدس، وتحدوا سلطة الطوائف الدينية الأخرى وجروهم إلى المنافسة، وهذا الأمر جعل طائفة المسيحيين الكاثوليك منزعجين بشكل خاص من الأمريكيين فقاموا بتحديهم على أنهم أخطر المنافسين للقيادة المسيحية.

وقد أيقظت الحماسة الأمريكية تاريخ الإصلاح وأساليب الكاثوليك القديمة في القرن السابع عشر مثل حرق الكتب، والطرد، وتقديم شكاوى رسمية إلى السلطات العثمانية والغربية في هذا السياق الجديد دون تأثير يذكر.

ولتعقيد الأمور بالنسبة للكاثوليك؛ قام الأمريكيون بتوزيع نسخة استنادًا إلى النسخة الكاثوليكية العربية-اللاتينية ثنائية اللغة من عام 1671، وهي التي تعرف بـ "بيبليا ساكرا أرابيكا". قام الأمريكيون بتأهيل ميزة تنافسية لهم بفضل براعتهم في المبيعات وحماستهم، فضلًا عن اهتمامهم الجاد بتعليم السكان المحليين وتحويلهم إلى ممارسات القراءة الخاصة بهم.

نشأ الكتاب المقدس باللغة العربية في جنوب فلسطين، وذلك بعد قرنين من ترجمته إلى اللاتينية، ومن ثم اتسع نطاق انتشاره في المئات من الترجمات وآلاف المخطوطات. لقد استعارت هذه النسخ الكتابية من بعضها، واستخدمت مجموعة متنوعة من النصوص المصدرية، بما في ذلك اليونانية والعبرية، والقبطية والسريانية واللاتينية والأرمينية، فتباين بذلك تعريف اللغة الكتابية البسيطة عبر الزمن في اللغة العربية.

واستخدمت هذه الترجمات مجموعة متنوعة من اللهجات العربية؛ كالإصدارات اللهجية في بعض المناطق؛ والترجمات الحرفية للقواعد اليونانية والسريانية وغيرها من القواعد النحوية في الترجمات الحرفية؛ والترجمات اللهجية المتوسطة العربية؛ فضلًا عن أشكال مدجنة تمامًا تم إنتاجها باللغة الفصحى الكلاسيكية، وقد بلغت ذروتها في النسخة المنظومة التي تحاكي القرآن التي أكملها عبد يشوع الصباوي في عام 1318.

أما فيما يتعلق بترجمات الكتاب المقدس؛ فقد استمرت بعض أسماء الأماكن في الترجمات في التوافق إلى حد كبير مع أسمائها اليونانية الأصلية، بينما تم تغيير تلك التي تغيرت مع مرور الزمن في مختلف ترجمات الكتاب المقدس.

ولجأت النسخة الكتابية العربية الكبيرة إلى الأسماء اليونانية، وأعادت توظيف منهجية التبشير في منطقة الشرق الأدنى كأرض مولد الكتاب المقدس ومهده. علاوة على ذلك؛ فإن النسخة الكبيرة للكتاب المقدس هي أول ترجمة تستخدم مصطلح "سورية" بدلاً من "الشام"، كما كانت تعرف في جميع الكتب المقدسة السابقة. في الكتاب المقدس، تم تقديم مصطلح "سورية" للمرة الأولى كاسم لمكان في ترجمة الكتاب المقدس الكبيرة لتعيين المصطلح اليوناني "سوريا". كان الاسم الجديد منهجيًا، ويمكن تحديده في أي مكان يشير إلى المنطقة، موضحًا أن المنطقة سميت بهذا الاسم لأنها كانت على اليسار من مكة المكرمة.

كان الأدب في اقتصاد العالم الأدبي، مشابهًا للوسائل المعرفية المحلية، كونه ينبع من ظروف محلية، ويتم إنتاجه من خلال الحرفية المحلية. فإذا كان من المفترض أن يترجم إلى وظيفة؛ فإنه يجب أن يتجلى في التحولات المادية في المجتمع. عند كتابته عن شهرة الفينيقيين وسمعتهم في صناعة الزجاج، فقد انتقد الشداق الأدباء البيروتيين المجتمعين حول الجمعية العلمية السورية، برئاسة بطرس البستاني، لدعوتهم إلى "المعرفة دون العمل"، وهو ما يشبه الشجرة من دون ثمر.

عندما بدأ الكتاب المقدس بالانتشار في الترجمات العامية حول العالم في العصور القديمة، لم تكن الكنائس تعتني وتهتم باللغة، بل كانت قدرة الكنيسة وأتباعها على تفسير الكتاب المقدس ضمن العقائد المقبولة. ومع ذلك؛ تكوّنت الترجمة الكتابية على جذور العديد من الانشقاقات التي أصابت الكنائس القديمة والحديثة التي تسببت في نهاية المطاف في إنشاء مذاهب متعددة داخل المسيحية.

تمثل الترجمة في تاريخ الكنائس المسيحية أمرًا داخليًا حتى القرن التاسع عشر، وأهميتها كبرى بالنسبة إلى الأمة المسيحية فقط. لكن اكتسب هذا التاريخ أهمية خاصة مع بداية الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر، لا سيما أن الاستعمار الأوروبي قدم فرصًا للمبشرين البروتستانت والكاثوليك لنشر الترجمات العامية الجديدة للكتاب المقدس حول العالم. وقد ارتقت هذه الترجمات، وفق رأي الباحثة، من خلال دراستها للحالة العربية إلى مكانة مرموقة كنصوص حديثة رئيسة كانت جزءًا من لحظة ضخمة للتزامن اللغوي حول العالم، وبناء أواصر القرابة مع اللغات التي كانت في السابق لا تمت إلى بعضها بصلة.

اتبع الكتاب وسيلة سرد بيوغرافية. وهو سرد يتبع دورة حياة الكتاب المقدس من بدايته وإنتاجه ومن ثم انتشاره. ومِن ثَمَّ؛ سمح هذا الأسلوب السردي بتصفية القصص التي عادة ما تبقى منفصلة، وبالكشف عن التشابكات التي لا يتم استكشافها دائمًا معًا. فالكتابة عن المبشرين تعتبر تجربة وتفكيرًا مختلفًا تمامًا عن الغوص في العوالم النصية المعقدة للبستاني والشدياق. ثم إن دورة حياة الكتاب المقدس سمحت بإعادة توجيه النظرة إلى بدايات هذين الكاتبين اللبنانيين المعقدين، وقد كان اللبنانيون آنذاك مفسرين وصحفيين ومترجمين - مع أنها لم تشر إلى أسماء عربية أخرى كان لها الفضل الأكبر في عملية صياغة النص وإنتاجه-. ففي حين أن المبشرين الأجانب ركزوا على إنتاج الكتاب المقدس وتسويقه كسلعة؛ استغل الكتّاب المحليون مهاراتهم ومواقعهم لصياغة رؤى جديدة للغة العربية ودورها في المجتمع.

فضلًا عن ذلك؛ فقد وفّر السرد البيوغرافي لمحة شاملة تتعلق بكيفية تداخل ترجمة الكتاب المقدس وانتشاره مع ديناميات تغير اللغة العربية وثقافتها في القرن التاسع عشر.

ويُشار إلى أن الكتاب المقدس لم يؤثر كثيرًا في اللغة العربية بقدر ما أثرت ترجمته ومترجموه بتأثير متبادل - وكأنه يعيد أثر الترجمة الأكبر من النص كما كان في نتاجات الترجمات العربية في العصور الوسطى- ففي هذا الكتاب، تم استكشاف مزيد من الحجج حول ما يمكن أن يكون مستقبل اللغة العربية، ولكن مع السعي لاستعادة بدايات مسيرة الرجال السوريين من الخلفيات المسيحية الذين صاغوا هذه النهضة، وفق رأي الكاتبة، إذ تم التركيز على الكتاب المقدس كأول جهد مهني لهم. حتى وإن رغب العلماء المحليون أحيانًا في عدم تحقيق شيءٍ أكثر من أن يصبحوا على قدم المساواة مع ما عليه الحال في أوروبا خدمة للكتاب المقدس.

كن جزءا من الحدث

يسرنا أن ندعوكم للتعرف والمشاركة في الفعاليات المميزة التي تقدمها جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية على مدار السنة

للمزيد من المعلومات، زوروا موقعنا الإلكتروني
mbzuh.ac.ae

الفعاليات متاحة لجميع أفراد المجتمع، بحسب الشروط والتفاصيل المحددة في الموقع.

#جامعة_محمد_بن_زايد_للعلوم_الإنسانية
#الريادة_في_العلوم_الإنسانية
#mbzuh

الغرب: تاريخ جديد لفكرة قديمة

The WEST
A NEW HISTORY of AN OLD IDEA

Naoise Mac Sweeney

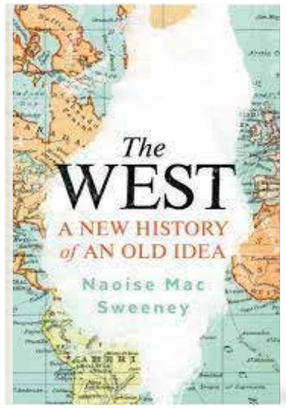

قراءة استيرلنج جنسين
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

تجادل عالمة الآثار الكلاسيكية البريطانية من أصل أيرلندي-صيني ناويز ماك سويني (Naoise Mac Sweeney) في كتابها "الغرب: تاريخ فكرة قديمة" (The West: A new history of an old idea) بأن السرد المهيمن عن الحضارة الغربية هو سرد قائم على صورة مغلوطة، يؤمن بها الغربيون وغيرهم على حد سواء. وتقدم سويني أدلة على هذا الطرح من خلال دراسات حالات لـ 14 شخصية تركت بصماتها في التاريخ بتجاربها وإسهاماتها الفكرية وذلك من أجل إعطاء صورة بديلة عن رواية الحضارة الغربية لنفسها منذ القرن السادس عشر وما بعد.

هناك نقاط مثيرة للفكر ودقيقة تاريخيًا في الكتاب، لا سيما حول الحاجة إلى إعادة فحص تاريخ الأنساب للسرديات الحضارية وفهم العلاقة المترابطة بين الثقافة والسياسة والإمبراطورية. فيساعد هذا الكتاب غير المطلعين على جداليات الحضارة الغربية وكذلك أولئك الذين يعتبرون الحضارة الغربية أنها "مدينة على جبل" كما يضرب بها المثل ونموذج للحضارة المعاصرة، إذ يوفر الكتاب لهم فهماً أكثر دقةً وتعقيدًا للتراث الثقافي الغربي. ولكن يحتوي الكتاب أيضًا على حقائق جزئية ولدى الكتاب مشاكل أساسية في حجته الرئيسة. وتكمن مشكلة حجة الكاتبة في أنها مبنية على ادعاء مركزي لا أساس له من وجود سرد كبير منتشر وغير نقدي للحضارة الغربية حتى يومنا هذا. وهذا الادعاء ورد في سائر فصول الكتاب؛ ومع ذلك، يعتمد الكتاب على الأدلة القصصية لإثبات وجودها. وبالتالي، من المرجح أن يؤكد الكتاب معتقدات الكثيرين ممن يشككون في الحضارة الغربية أو يعتبرون أنفسهم مظلومين منها؛ فمن المرجح ألا يكون الكتاب مقنعًا للباحثين الناقدين المطلعين في الحضارة الغربية. إذ يتبع هذا الكتاب نوعًا من الكتابة في تخصص فترة ما بعد الاستعمار (Post-colonialism)، ونظرية النظم العالمية (World-systems theory) ونظرية العِرْق النقدي (Critical race theory) التي تتحدى التفسيرات الغربية الراسخة للتحديث. ومن الجدير بالذكر أنه في حين أن غالبية مؤلفي الكتب في هذه الأنواع ينحدرون من الغرب والتعليم العالي الغربي، فإن نظرياتهم يتم تبنيها وتزيينها داخل المجتمعات غير الغربية، التي تعاني من مظالم فعلية أو متصورة من الغرب. ويمكن أن تخلق هذه الزخارف حواجز أمام التفاهم الحقيقي بين الثقافات والتواصل وتغذي الأيديولوجيات الإمبراطورية النامية.

إن الحجة المركزية للكتاب هي أن هناك سرداً كبيراً متطوراً ومتسقاً ومنتشراً حول الحضارة الغربية في قلوب وعقول الغربيين حتى يومنا هذا، وهو يُلهم كراهية الأجانب والتفوق العرقي والثقافي. ومن خلال سرد حياة شخصيات عبر التاريخ، يسعى المؤلف إلى تغيير هذا السرد الكبير وزيادة الوعي بأن الحضارة الغربية ليست تراثًا متجانسًا وفريدًا، بدءًا من اليونان إلى الرومان وانتهاءً بنهضة التراث اليوناني الروماني وإلى يومنا الحالي مع الأنظمة السياسية للديمقراطيات الليبرالية الحديثة. وتكمن مشكلة هذه الحجة الشاملة في أنه ليس من الواضح من الذي يقوم بالفعل بتدريس هذه الرواية في الغرب. فتوفر الكتب المدرسية المعاصرة المستخدمة في التعليم الأساسي والعالي الغربي والبحث العلمي في التاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية وأي مؤلفات علمية أخرى تتعلق بسرد الحضارة الغربية فهي تملك صفات ولمحات عامة نقدية ومعقدة عن الغرب، وهي لا تحكي القصة التي تدعيها المؤلفة . وتقدم الكاتبة كدليل حكايات من التغطية الإعلامية للمتظاهرين الذين اقتحموا مبنى الكابيتول الأمريكي في 6 يناير 2021 وواحد منهم استخدم شعارات باللاتينية واليونانية وتعتبر الكاتبة أن هذا دليل على أنهم يصدقون هذا السرد الكبير عن الحضارة الغربية. كما تقول إن هذا السرد غير معلن عنه بين النخبة في المجتمعات الغربية. ومع ذلك، فهي لا تقدم دليلًا تجريبيًا أو غيره من الأدلة الموثوقة لدعم هذه الادعاءات وتعتمد على مؤهلاتها كعالمة آثار كلاسيكية وتستخدم مصطلحات أكاديمية لمنح روايتها جو العلم. فبطريقة ما، يعتبر هذا الكتاب كلاماً أكثر عن الحضارة الغربية من خلال مقتطفات من حياة الشخصيات التاريخية بدلاً من التحليل العلمي القائم على مناهج علم التاريخ أو علم الاجتماع.

ومع ذلك، تشير الكاتبة إلى أنها لا تقدم رواية موضوعية للتاريخ، لأنها اختارت الشخصيات التاريخية بشكل انتقائي بناءً على آرائها الشخصية حول كيفية قيام الحضارة الغربية على الأسطورة بدلاً من الحقائق. علاوة على ذلك، تشير إلى الفصول الخاصة بها لاحقًا في الكتاب لدعم ادعاءاتها. لذا فإن الدليل الذي يدعم الختام يعتمد على الختام. فيمكن اعتبار هذا نوعًا من التفكير الدائري.

ومع ذلك، فإن نسيج الكتاب متماسك، ولغته جلية واضحة. لقد تم تنظيم الشخصيات التاريخية التي يسلط الكتاب الضوء عليها بترتيب زمني؛ بدءًا من المؤرخ اليوناني هيرودوت، المعروف في الغرب باسم "أبو التاريخ" وانتهاءً بملف تعريف الرئيس التنفيذي السابق لهونج كونج كاري لام. ومن طريق ذلك تسليط كل شخصية تاريخية الضوء على جانب معين من (كذبة) الحضارة الغربية التي تحاول سويني كشفها. فمع هيرودوت، أكدت أنه كأحد أعمدة الحضارة الغربية، جاء بعد العديد من المؤرخين في بلاد ما بين النهرين ومصر. وليس قبل ذلك. وأن الفهم الحديث للعالم اليوناني الكلاسيكي يعطي صورة وردية للغاية عما كان في الواقع مجتمعًا معقدًا ومتنوعًا. بدلاً من ذلك، فإن سرديات الحضارة الغربية لا تفسر بشكل كامل مساهمة غير الغربيين مثل العالم العربي المسلم الكندي، بدعوى أن الغرب يؤمن بعصر مظلم عندما سادت الدوغمائية الدينية ونام العلم قبل أن يستيقظ خلال عصر النهضة بعد جهود رهبان وكهنة مسيحيين. إن المفارقة في ادعاء سويني بأن حياة الكندي وكتاباته تثبت أن السرد الكبير للحضارة الغربية مخطئ هي أن الكندي معروف في الغرب أكثر منه في العالم الإسلامي اليوم. فتتفوق الدراسات الغربية حول فلاسفة وعلماء العصر الذهبي للإسلام على الدراسات التي تتم باللغة العربية أو أي لغة أخرى تستخدمها المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة.

إن البحث الغربي هو الذي أعطى أمثال الكندي التقدير لمساهمتهم في التقدم المعاصر للبشرية. وهناك حاجة إلى مزيد من الجهد في العالم العربي والإسلامي لاكتشاف هذه المساهمة الغنية والتعلم منها على خلاف ما هو جار اليوم. في الواقع، قد لا يتم فهم هذا أو تقديره من قبل الجماهير في الغرب، ويمكن عمل المزيد لزيادة الوعي حول مساهمة الآخرين في الثقافة الغربية كما تجادل فيه الكاتبة، ومع ذلك، ترتكب سويني خطأ فادحًا من خلال عدم الاعتراف الكامل بالمساهمة الغربية العميقة والغنية لتوصل للعالم فهم الشخصيات التاريخية غير الغربية مثل الكندي.

إن الميل إلى إخفاء جوانب سياق هذه الشخصيات التاريخية واستخدام الأدلة القصصية للسرد الكبير للحضارة الغربية يقوض الحجة الرئيسة للكتاب. فتشمل الأمثلة الأخرى الفصل الخاص بالأميرة الرومانية ليفيلا لفضح تثبيت غربي مفترض لإمبراطورية رومانية كانت بيضاء عنصريًا، وأوروبية جغرافياً وغربية ثقافيًا، أو قصة الملكة الأنغولية نجينجا لإظهار كيف يمكن للتحول إلى المسيحية أن يغير طبيعة الأكثر وحشية من البربري لشخص يعتبر حكيمًا مثل الإغريق ونبيلاً كأنه روماني. دليل سويني على التثبيت الحديث للحضارة الغربية المتجانسة عرقيًا وجغرافيًا وثقافيًا هو رسم كاريكاتوري لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) في عام 2019 يصور عائلة مختلطة العرق تعيش بالقرب من جدار هادريان في شمال إنجلترا، و توقيع معاهدة الاتحاد الأوروبي في عام 1957 في قاعة في روما مع لوحات جدارية تصور الأمجاد في تاريخ روما، وعلامة تصنيف استخدمها في 6 يناير 2021 بعض مؤيدي الرئيس السابق دونالد ترامب #CrossTheRubicon ، مما يعطي صورة ترامب كنوع من يوليوس قيصر لإنقاذ أمريكا مثل قيصر الذي من المفترض أنه أنقذ روما. إن تصوير الملكة الإفريقية نجينجا كرسوم كاريكاتورية لتبرير الاستعمار الغربي والتفوق الثقافي يطبق الصواب السياسي والحساسيات الأخلاقية الحديثة لتقييم قرارات وسلوكيات كُتّاب أواخر القرن الثامن عشر. ومن خلال عدم إعطاء صورة أكثر اكتمالاً للشخصيات الذين تبرزهم سويني في الكتاب والاعتماد على وقائع لدعم قصتها، يظهر الكتاب على أنه مقال رأي طويل وليس دراسة جادة للحضارة الغربية. ليس هناك شك في أن هناك حوادث مثل تلك التي تعرض لها رسوم بي بي سي الكارتونية أو مثيري الشغب في 6 يناير حيث يستخدم الجهلاء أجزاء من التاريخ لدعم قضية سياسية أو أن الأساطير جزء من هوية وطنية. ومع ذلك، فشلت سويني في إقناعنا أن هذه الحوادث المعزولة أو اللقطات من التاريخ تمثل الادعاءات الكاسحة التي قدمتها في الكتاب. على سبيل المثال، تقارن الكاتبة مثيري الشغب في احتجاجات هونج كونج من 2019-2020 مع مثيري الشغب الذين اقتحموا مبنى الكابيتول الأمريكي في 6 يناير 2021. أحد الاختلافات الرئيسة التي سلطت الضوء على المجموعتين هو ادعاؤها أن المحتجين الصينيين أرادوا المزيد من الديمقراطية بينما أراد المتظاهرون الأمريكيون القليل منها. هذا الادعاء هو تعميم متسرع يبدو أكثر ذا دوافع سياسية بدلاً من تقييم موضوعي. يمكن أن تكون لقطة لحدث تاريخي دون توفير سياق مناسب مضللة، وهو أمر تدركه سويني بالتأكيد كعالمة آثار كلاسيكية، ولكن يبدو أنها تنساها في تصويرها لبعض الأحداث التاريخية.

إن تصوير سويني للباحث الغربي/العربي إدوارد سعيد أكثر انتقادًا

وشمولية. ونقلت عن سعيد قوله بحق أن المؤرخين هم نتاج وقتهم وأن عملهم يساهم في ديناميات السلطة المستمرة. بينما تدعي أن سعيد قبل السرد الكبير المزعوم للحضارة الغربية، ولذلك سلطت سويني الضوء على مساهمة سعيد في فهم العلاقة المتشابكة بعمق بين الثقافة والسياسة والإمبريالية بالإضافة إلى تحديات العيش مع هويات متعددة مثلها. جادل سعيد ضد فكرة الحدود المطلقة بين الهويات وأكد أن البشر "يصنعون ثقافاتهم وهوياتهم العرقية". وكان سعيد رائداً في إعادة التفكير في الحضارة الغربية وماضيها الإمبراطوري. ومن خلال تصويرها لإدوارد سعيد ثم السياسية الصينية كاري لام، تقدم سويني حجة قوية مفادها أن الحضارات يمكن أن تتعلم من بعضها البعض وأن المحاولات المعاصرة لإنشاء حضارات ثابتة وغير تاريخية مع الشعوب والثقافات التي تنتمي إلى مكان ثابت وهيكل سياسي ثابت مضللة.

ويختتم الكتاب بادعاء المؤلفة أن الجهود المبذولة لإعادة النظر في الحضارة الغربية ليست هجومًا على الغرب، بل هي احتفاء بالغرب ومبادئه الأساسية؛ إن التشكيك في الحكمة السائدة وانتقادها ومخالفتها هي قيم غربية جوهرية. فقلة قليلة ستجادل ضد هذه الملاحظة. فلقرون طورت مؤسسات التعليم العالي الغربية روح الحرية الأكاديمية والاستقلالية لمنع القوى السياسية والاجتماعية من التعتيم على البحث العلمي، على الرغم من تاريخ التمييز وغيره من أشكال الظلم في هذه المؤسسات. تزداد المنافسات الجيوسياسية علاوة على أن هناك علاقة قوية بين الثقافة والسياسة والإمبريالية، أو السلطة والمعرفة بحسب فوكو. سيكون من الحكمة للمؤسسات الأكاديمية في جميع أنحاء العالم، وليس فقط في الغرب، تحليل سردياتها الحضارية بشكل نقدي كما فعل هذا الكتاب عن الغرب. إن القيام بذلك من شأنه أن يوفر مساحة أكبر للحوار غير السياسي والموضوعي بين الحضارات والثقافات. ومع ذلك، فإن الحرية الأكاديمية ليست قيمة عالمية وقد يعتبر البعض تقييمًا نقديًا لجوانب وأنساب حضاراتهم وثقافاتهم خطراً سياسياً أو يفضح الجوانب غير المرغوبة من التقاليد الدينية أو الثقافية أو السياسية.

قد يستخدم أولئك الذين يعانون من مظالم مع الغرب حججًا مثل تلك التي اقترحها هذا الكتاب لتركيز الانتباه على إشكاليات وتناقضات الحضارة الغربية بدلاً من معالجة أماكن التحسين الخاصة بهم التي تحجبها الإيديولوجيا. قد يكون هؤلاء المتحدّون للحضارة الغربية محاصرين في تحيز الملاحظة المنسوبة في الأصل إلى قصة الشخصية المسلمة نصر الدين خوجة وتسمى حاليًا تأثير إنارة الشوارع أو مغالطة السكير. في هذه القصة، يقترب ضابط شرطة من سكير يبحث عن شيء ما تحت ضوء الشارع ويسأله عما فقده. يقول السكير إنه فقد مفاتيحه وكلاهما يبحثان معًا تحت ضوء الشارع. بعد فترة من البحث، سأل الشرطي السكير عما إذا كان متأكدًا من أنه فقد مفاتيحه هناك، فأجاب السكير قائلاً: "لا، لم أفقدها هنا، لقد فقدتها في ذلك الزقاق المظلم عبر الشارع". فلما سأله الشرطي عن سبب بحثه في مكان آخر، أجاب السكير: "لأن الضوء أفضل هنا". وبالمثل، من الأسهل انتقاد الحضارة الغربية بسبب إنارة الشارع للحرية الأكاديمية التي تسطع فوقها. ومع ذلك، قد لا يتم العثور على حلول للحوار الحضاري الأكثر سلمية تحت أضواء الغرب، ولكن في الأزقة التي ما تزال مظلمة للثقافات والحضارات الأخرى التي لم تشهد بعد إنارة الشوارع للكشف عن الطبيعة الحقيقية لتراثها الحضاري.

في الختام يضيف كتاب "الغرب: تاريخ جديد لفكرة قديمة" إلى الأدب النقدي المتنامي الذي يتحدى تاريخ الغرب ويعيد تفسير الحضارة الغربية على أساس القيم المعاصرة التقدمية. فيحتاج الأدب الأكاديمي إلى وجهات نظر متنوعة وتحليل نقدي للمساعدة في تسليط الضوء على تاريخ الإنسانية والحضارة. ومع ذلك، يتم إجراؤه بشكل أكثر فاعلية عندما يستند إلى أدلة تجريبية قوية وموازنة وأكثر موضوعية في عرض الحقائق. مع ذلك، يسهل قراءة كتابنا هذا ونثر المؤلفة رائع والكتاب منظم جيدًا ويدعم كل فصل الحجة الرئيسة. لقد رسمت سويني بشكل فعال عرضاً منظماً للحجة التي تقدمها. كل ما في الأمر أن الصورة المرسومة هي تفسير من نوع بيكاسو للحضارة الغربية بأشكال مشوهة وأشياء في غير محلها، بدلاً من تفسير من نوع رامبرانت الذي يعكس صوراً أكثر واقعية.

الخريطة الثقافية

THE CULTURE MAP

ERIN MEYER

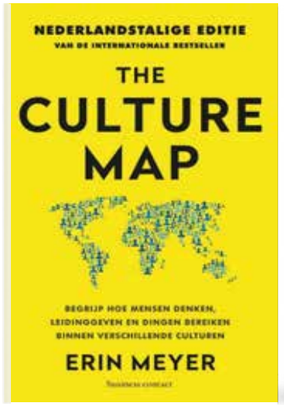

قراءة نور الدين الموادن
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

إرين ماير (Erin Meyer) أستاذة بمدرسة التجارة بباريس (INSEAD)، وهي كاتبة ومتحدثة دولية مشهورة في مجال العلاقات الدولية والتفاعلات الثقافية، وتعتبر خبيرة في مجال الثقافات المؤسسية والتفاعلات الثقافية في البيئات العالمية.

من أبرز أعمالها كتابها "The Culture Map: Breaking Through the Invisible Boundaries of Global Business"، والذي تم نشره في عام 2014. هذا الكتاب يعتبر مصدرًا هامًا في مجال دراسة الثقافات وكيفية التفاعل معها في السياقات العملية والأعمال العالمية.

في كتابها "The Culture Map"، تقدم إرين ماير"نموذج /مفتاح" لفهم الثقافات المختلفة، وكيفية التفاعل معها في مجال الأعمال بالمؤسسات الدولية. تقوم بتحليل "ثمانية أبعاد وركائز ثقافية" مختلفة تؤثر في رأيها على التفاعل بين الأفراد والمنظمات في سياقات عالمية، تستند الباحثة في طرح هذه الأبعاد إلى أبحاثها وتجاربها الميدانية التي اهتمت بموضوع التفاعلات الثقافية في مجموعة متنوعة من البلدان والثقافات لتقدم إطارًا مفاهيميا للمهتمين لمساعدتهم في تحسين التفاعل مع الثقافات المتنوعة في العالم المعاصر.

محتويات الكتاب:

المقدمة: التنقل بين الاختلافات الثقافية وحكمة السيدة تشين.

1.الاستماع إلى الهواء للتواصل عبر الثقافات.

2.تعدد أوجه أدب التواصل: تقييم الأداء وإبداء التعليقات السلبية.

3.لماذا وكيف: فن الإقناع في عالم متعدد الثقافات.

4.كم من الاحترام تريده؟ القيادة، والهرمية، والسلطة.

5.من له صلاحيات القرار وكيف؟

6.العقل أم القلب: نوعان من منابع الثقة، وكيف يتطوران؟

7.الإبرة، ليس السكين: تدبير الاختلاف بطريقة منتجة.

8.ما مفهوم التأخير؟ تخطيط وإدراكات ثقافية للزمن.

الخاتمة: كيفية تنفيذ "الخريطة الثقافية".

تستهل إرين ماير موضوع دراستها بسرد قصة - في بداية تجربتها - عن طريقة إعداد لقاءاتها التأطيرية لإدارة الحوارات مع عدد من مديري شركات متعددة الجنسيات. وفي لقائها التأطيري للورشة كان برفقتها السيدة تشين، الشريكة في إعداد البرنامج، والتي كانت لا تشك في دعمها خلال اللقاء بسبب ما سمعت عن خبرتها الطويلة في المجال. لقد كانت متيقنة أنها ستقوم بمؤازرتها والتدخل بين الفينة والأخرى لإثراء النقاش وإضافة ما يوحي بمساندتها ودعم آرائها. لكن إرين تفاجأت، أنه طيلة القسم الأول من مداخلتها، ظلت تشين صامتة لا تبدي أية ردة فعل، سواء بالكلام أم بإشارات تطمئنها وتدعوها إلى الاستمرار مثلا أو تغيير طريقتها، الشيء الذي بدأ يثير استياءها، وأحست بإحباط خاصة أن البرنامج يتحملان معاً مسؤولية إعداده، وأنها كانت تعقد عليها الأمل لإنجاح الورشة.

استمرت إرين في عرضها، وبعد ثلاث ساعات متتالية توقفت، وقد انتابها شعور بفشل مهمتها وانتهاء مشاريعها المستقبلية، مما دفعها، وهي في حالة إرباك تام، إلى استعمال آخر أوراقها بالتوجه بالسؤال مباشرة إلى تشين سائلة إياها إن كانت تحضرها أية أمثلة توضيحية لتشاركها الحضور. جلست تشين بشكل مستقيم على كرسي، وابتسمت بثقة للعملاء، وفتحت دفترها الخاص المليء بصفحات من الملاحظات المكتوبة، ثم أجابت إيرن: "شكرًا لك إرين". "سأفعل". بدأت تشين في شرح وإعطاء أمثلة وتوضيحات نوعية وثيقة الصلة بالموضوع و"كانت في ذلك رائعة" .

لقد أثار هذا اللقاء لدى إرين تساؤلات متعددة عن الدوافع الكامنة وراء عدم تفاعل تشين مع آرائها خلال إلقائها المحاضرة، هل يعود إليها نفسها وعدم ارتياح تشين للعمل معها، وأنها مسيرة ليست بذات كفاءة؟، أم أن تشين هي المشكلة بسبب عدم إتقانها فن التواصل أو لأنها خجولة ومنطوية على نفسها؟ أثبتت التجارب المتتالية التي عاشتها

إرين برفقة تشين في تدبير العديد من اللقاءات والورشات التدريبية لاحقا، والتي كانت موجهة لكبار المسؤولين والمديرين التنفيذيين، وجدتها محاورة بارعة وتمتلك مهارات تواصلية استثنائية، وموهوبة وتتميز بثقة عالية بالنفس. خلصت إرين بعد العديد من تجاربها وأبحاثها إلى أن المسألة مرتبطة بالأساس بموضوع " اختلاف الثقافات" -"الثقافة الخاصة" - وليس لها علاقة بالأحكام المسبقة التي ترسخت في الأذهان كما هو شائع لدى الغربيين (افتراض/ قناعة) أن الآسيويين هادئون ومتحفظون أو خجولون، وأقل صراحة في إبداء آرائهم. دفعت التجربة مع تشين وأخر متنوعة عاشتها إرين خلال جولاتها التأطيرية إلى التفكير مليا في إشكالية التواصل بسبب "الاختلاف الثقافي" الذي تعيشه عدد من الشركات الدولية متعددة الجنسيات، فأصدرت هذا الكتاب الذي بسطت فيه مقترحات يمكن اعتمادها في فهم تحديات التواصل الذي تعيشه العديد من المؤسسات ذات الصبغة التجارية العالمية.

وجاء أول مدخل في عمل إرين ضرورة التعرف على العوامل الثقافية التي يعكسها السلوك البشري وطريقة التحليل المنهجي لفهم أسباب هذا السلوك، مما سيسمح للمسؤولين بتنفيذ /تطبيق استراتيجية واضحة تسهم بشكل فعّال في تجنب أو حل المعضلات التي تنجم عن سوء فهم ثقافة الآخر. إن أول سؤال يُطرح على المديرين التنفيذيين للشركات المتعددة الجنسيات هي طريقة الإشراف وإدارة مجموعة من المتعاونين ممن ينحدر من ثقافات متنوعة، وفي أغلب الأحيان لا تكون لديهم إلا أفكار مسبقة تجعلهم يسقطون في إصدار الأحكام وإطلاق التوصيفات اعتمادًا على معلومات عامة من قبيل "بلد أو ديانة المخاطَب"، وهي معلومات تكون في مجملها سطحية.

ساقت إرين في كتابها نماذج لوقائع عاشتها شخصيًا لتستنتج منها السبل الكفيلة بهدم "الهوة الثقافية" في المؤسسات المتعددة الجنسيات وربط الاتصال بشكله الصحيح، منها:

-طريقة تحديد المواقع الجغرافية في الهند والتي تتسم بالاختصار الشديد والذي لم يسعفها في الوصول إلى مبتغاها، كما أن طريقة هز الرأس من اليمين إلى اليسار قد تربك "الآخر" وتوحي بعدم الاهتمام.

-كما أنها استغربت -عندما كانت تلقي محاضرة في اليابان- بعدم وجود أي أسئلة حول القضايا التي طرحتها في عرضها. فقام زميلها، الذي كان على دراية بالعادات اليابانية، بأخذ وقت للنظر في الحضور ومنح الفرصة لأولئك الذين كانوا يحافظون على "الاتصال البصري" معه للتدخل مما فتح باب النقاش واستفسارات حول العرض الذي ألقته إرين وإثراء اللقاء بشكل متميز. وبالمقابل سُجل على إرين عدم إلمامها بثقافة " قراءة الأجواء" اليابانية .

من هنا اشتغلت إرين على بناء دراستها اعتمادًا على استطلاع للرأي ومن ممارساتها التأطيرية لتفك شيفرة التنميط/ النمطية التي تحكم آراءنا من الآخر: فيشاع مثلا أن الأمريكي يكون أكثر وضوحا ومباشرة من الفرنسي (أو بشكل أكثر دقة كما تذكره إرين، التواصل في "السياق المنخفض" (Low Context) Communication):

"ففي البيئة الفرنسية، غالبًا ما يتم تقديم ردود الفعل الإيجابية بشكل ضمني، في حين يتم تقديم ردود الفعل السلبية بشكل مباشر أكثر. أما في الولايات المتحدة، فالأمر عكس ذلك تمامًا. عادةً ما يقدم المديرون الأمريكيون تعليقات إيجابية بشكل مباشر، ويقومون بصياغة الرسائل السلبية بلغة إيجابية ومشجعة".

استمرت إرين في المقارنة في هذا المضمار، وأدرجت نماذج ومقارنات (الشائعة) التي ينعت بها الآخر مما هو شائع بين الإنجليز والأستراليين والكنديين وبين الإسبان والكنديين والإندونيسيين واليابانيين...

اقترحت إرين كحل في مجال التواصل لائحة تضم ثماني ركائز ثقافية رئيسة، حددتها بناءً على أبحاثها، لمساعدة القراء والمديرين في الشركات التجارية العالمية في فك شيفرة الاختلافات الثقافية، وتعلُّم التفاعل بفعالية أكبر مع الأفراد من ثقافات مختلفة. باختصار، "خريطة الثقافة" هو كتاب يهدف إلى مساعدة المحترفين وقادة الأعمال والدبلوماسيين، وأي شخص يعمل في سياق دولي على فهم أفضل لديناميات الثقافة، وزيادة قدرتهم على التعاون بنجاح مع الأشخاص المشتغلين معهم المنتمين لثقافات مختلفة. إنه دليل عملي للاتصال بين الثقافات يوفر نصائح واستراتيجيات للتغلب على العقبات الثقافية وتعزيز التعاون بشكل أكثر فعالية وانسجامًا.

إن روح كتاب إرين مايرهو كيف ننجح في الإدارة عبر السياقات الثقافية المتنوعة لمكان العمل اليوم المتميز بالتعددية الثقافية والعالمية؟ وعليه وضعت نموذجًا/ مفتاحًا عمليًّا سمته "الركائز الثمانية" ويتكون من:

1.التواصل في السياق العالي والمنخفض (High-Low Context) Communication): هذا البعد يتعلق بكيفية تبادل المعلومات وتفسيرها. وتعتمد الثقافات ذات السياق العالي بشكل أكبر على السياقات غير اللفظية والضمنية، بينما تعطي الثقافات ذات السياق المنخفض الأفضلية للتواصل الصريح واللفظي.

2.التواصل المباشر وغير المباشر: (Direct-Indirect Communication) يُشير هذا البعد إلى كيفية التعبير عن الرسائل في الثقافات، فبعض الثقافات تكون رسائلها "مباشرة" وتعبر بصراحة عن آرائها، في حين تستخدم الثقافات الأخرى رسائل "غير مباشرة" ورمزية.

3.بناء الثقة: (Trust Building) هذا البعد يتعلق بكيفية إقامة وتطوير الثقة في العلاقات المهنية، فمجموعة من الثقافات "تمنح الثقة بسرعة "، بينما تتطلب ثقافات أخرى وقتًا أطول ودلائل أكثر.

4.حل النزاع: (Conflict Resolution) يتناول هذا البعد كيفية التعامل مع الصراعات وحلها، حيث تفضل ثقافات معينة المواجهة المباشرة، في حين تفضل أخرى النهج الأكثر غموضًا.

5.اتخاذ القرارات: (Decision Making-) يتعامل هذا البعد مع كيفية اتخاذ القرارات وذلك حسب خصوصية الأشخاص المشاركين، فنجد أن مِن الثقافات من تتبنى نهجًا يعتمد القرارات بشكل توافقي، بينما تمنح البعض الآخر المزيد من السلطة لصناع القرار الفرديين.

6.القاعدة أو العلاقة (The Rule or the Relationship): يرتبط هذا بأهمية الامتثال للقوانين والإجراءات مقارنة بالعلاقات الشخصية في السياق المهني. فهناك ثقافات تفضل الامتثال للقوانين، بينما تؤكد الأخرى على إعطاء الأولوية للعلاقات الشخصية.

7.الإقناع: (Persuasion) يتناول هذا البعد أساليب الإقناع والتأثير، فتركز بعض الثقافات على استخدام الحجج المنطقية والوقائع، في حين تميل الأخرى إلى ترجيح العاطفية والإقناع غير المباشر.

8.الالتزام بالمواعيد: (Time) يرتبط هذا البعد بأهمية الالتزام بالمواعيد في التفاعلات المهنية. بعض الثقافات تقدر الدقة والوصول في الوقت المحدد، بينما تكون الأخرى أكثر مرونة فيما يتعلق بالجداول الزمنية.

هذه الأبعاد الثمانية تشكل أساس نموذج المسح الثقافي لإرين ماير، الذي يساعد الأفراد والمؤسسات على فهم الفروق الثقافية بشكل أفضل والتكيف بفعالية أكبر مع التفاعلات بين الثقافات. ومع ذلك، من الضروري أن نتذكر أن دراسة الثقافات وتنوعها ليست بالأمر الذي يسمح بسهولة قولبتها وتقديمها ضمن وصفة جاهزة.

خلاصة: إننا في عالم أعمال افتراضي متصل بشكل وطيد بالعالم الرقمي، ورغم ذلك يجب أن نستحضر ضرورة فهم الاختلافات الثقافية وأثرها في بناء الشخصية وتفاعلها مع "الآخر"، لذا فالقادة العالميون مطالبون بفهم التنوع الثقافي الذي تعرفه المؤسسات الدولية للتمكن من الإدارة بشكل استباقي ووضع خطط تسمح بتقريب الرؤى وبناء جسور التواصل الثقافي لتحقيق الأهداف، آخذين بعين الاعتبار أنه إذا كانت التجارة عالمية فالثقافة ليست كذلك.

في الأخير يمكن أن نسجل أن دراسة "خريطة الثقافة" لإرين ماير بشكل عام تشتمل على نقط قوة كثيرة مع وجود بعض الملاحظات:

نقط القوة:

1.إطار مفاهيمي واضح: إحد أهم نقاط القوة في الكتاب فهو يضم إطارا مفاهيميا واضحا يسهل فهمه. تقترح إرين ماير ثمانية أبعاد ثقافية تساعد القراء في تحليل الاختلافات الثقافية بطريقة منهجية.

2.تطبيق عملي: "خريطة الثقافة" تقدم إرين ماير نصائح وأمثلة عملية لمساعدة الأفراد والمنظمات على "التنقل" بنجاح في بيئات ثقافية متنوعة. إنها تقدم استراتيجيات يمكن تنفيذها في سياقات حقيقية.

3.الإمكانية: الكتاب متاح لجمهور واسع، سواء أكانوا محترفين يعملون في سياق دولي أو طلابًا أو أي شخص مهتم بالديناميات الثقافية. إنه لا يتطلب معرفة مسبقة عميقة في علم الإنسان أو علم الاجتماع.

4.استنادًا إلى البحث: تستخدم إرين ماير دراسات الحالات الحقيقية والقصص الشخصية لتوضيح مفاهيمها. وهذا يجعل المحتوى أكثر جاذبية وواقعية.

5.زيادة الوعي بالاختلافات الثقافية: يساهم الكتاب في زيادة الوعي بالاختلافات الثقافية وأهمية فهمها في عالم متعدد الجنسيات والعولمة.

بعض الملاحظات:

1.تبسيط مفرط: قد نسجل أن نموذج إرين ماير يُبسط أحيانًا تعقيدات الثقافات بشكل مفرط، فالثقافات غنية ومعقدة، ويمكن أن يكون خطرًا تقزيم حجمها إلى ثمانية أبعاد فقط.

2.نماذج محتملة للتصوير: يمكن أن يؤدي استخدام الأبعاد الثقافية أحيانًا إلى تصوير نماذج أو تعميمات مفرطة. كما أن بالإمكان تسجيل أنه لدى أفراد ثقافة واحدة اختلافات كبيرة، وليس الجميع بالضرورة يتوافقون مع سمات "النموذج الثقافي".

3.نقص في العمق: يمكن أن نسجل بأن الكتاب يفتقر إلى تفاصيل أكاديمية عميقة.

4.تطور الثقافات: يمكن ألا يعكس الكتاب دائمًا التغييرات السريعة وتطور الثقافات، خصوصاً في عالم تلعب فيه التأثيرات الدولية والعولمة دورًا متزايد الأهمية.

في النهاية، "خريطة الثقافة" هي أداة مفيدة لزيادة الوعي على الأقل بالاختلافات الثقافية وتقديم نصائح عملية للعمل بفعالية في سياقات "بين الثقافات". ومع ذلك، من المهم استخدامها بحذر والاعتراف بحدودها لتجنب الوقوع في فخ التبسيط المفرط أو التعميم.

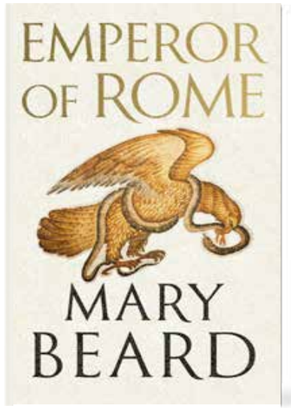

قراءة محمد السماك
مفكر وكاتب في
الحوار الديني والثقافي

أباطرة روما
Emperor of Rome

Mary Beard

يقدّم التاريخ أباطرة روما في أثواب العظمة والتفوّق. وتعكس هذه العظمة، التماثيل الرخامية التي حافظت على بهائها حتى اليوم رغم الهزات الأرضية التي عصفت بالعاصمة روما تحديداً. غير أن الكتاب الجديد لأستاذة التاريخ في جامعة كمبريدج في بريطانيا الدكتوره ماري بيرد، يقدّم لنا صوراً مختلفة تماماً عن الجوانب الخلفية من حياة هؤلاء الأباطرة العظام الذين ارتبطت أسماؤهم بالإنجازات العلمية وبالفتوحات العسكرية. من ذلك مثلاً القصة الشهيرة المرتبطة بالإمبراطور نيرون الذي أحرق عاصمة الإمبراطورية الرومانية روما وجلس يتفرّج عليها وهو يعزف على قيثارته. وتقول المؤلفة إن نيرون عُرف بأكثر من ذلك. فقد كان يحضر كل الألعاب الأولمبية. وكان يحب أن يكون الرابح في كل لعبة يشترك فيها. وكان يعشق التمثيل ويشترك في تقديم المسرحيات. ومنها مسرحية "قاتل أمه" التي أدّاها "على الطبيعة"!! حيث إنه حاول فعلاً قتل أمه.

ومن قصص هؤلاء الأباطرة العظام، قصة الإمبراطور "كاليغولا" مع حصانه المفضل. فكان يريده أن يربح كل السباقات، وكان له ما يريد دائماً. ومن شدة عشقه لحصانه، أقام له تمثالاً من الرخام برأس من العاج ووشّحه بأزياء الإمبراطور، وجعل له "سرجاً" من القماش البنفسجي الخاص بالأباطرة وحدهم.

كان على المؤلفة الدكتوره بيرد أن تحفر قبور الأباطرة لدراسة بقاياها وما تحتويه من تحف أثرية. كما كان عليها أن تدرس بإمعان كتابات الأقدمين عن سيرة حياة هؤلاء الأباطرة الذين صنعوا تاريخ واحدة من أعظم إمبراطوريات العالم القديم. وأن تزور قاعات قصورهم المتبقية، وأن تتفقّد ما بقي من مخلّفاتهم الشخصية من الأدوات والتماثيل.

صحيح أن المؤلفة تقدّم قصصاً صادقة وصادمة عن حياة أولئك العظام في التاريخ الإنساني، ولكن هذه القصص لا تخلو من عناصر الإثارة المسلية التي تلقي أضواء على الأبعاد الإنسانية الطبيعية (وغير الطبيعية) لهذه الشخصيات التاريخية الكبرى. ومن خلال ذلك تقدم المؤلفة روما القديمة على حقيقتها من خلال بحثها عن كل ما هو "غير متوقع"، حتى في بيوت الدعارة الخاصة بهذا الإمبراطور أو ذاك. فالإثارة لا تقف أمام باب مغلق.

عملت المؤلفة على فتح كل الأبواب للوصول إلى أعمق الخصوصيات، وعملت بعد ذلك على إلقاء أضواء ساطعة على شخصيات صنعت التاريخ القديم لتكشف هذه الأضواء عن أبعاد الضعف الإنساني الذي تميّزت به تلك الشخصيات التي ذكرها التاريخ.

تعترف المؤلفة أنها اعتمدت على عدة مصادر لعل أهمها الكتّاب الرومانيون أنفسهم. ولعل من أبرزهم الكاتب غيوس سويتونيوس ترانكيلوس. وهو كاتب عمل في إدارة كل من الإمبراطورين هادريان وتراجان، وهما من كبار أباطرة الإمبراطورية الرومانية. وتؤكد المعلومات التاريخية أن ترانكيلوس كان يتدفق قصصاً وروايات وإشاعات عن تفاصيل دقيقة تتناول العلاقات الخاصة للإمبراطورين اللذين عمل في إدارتيْهما.

وتقول المؤلفة إنه لم يكن بين الأباطرة مفكرون وأدباء سوى النزر اليسير، ولعل أهمهم كان ماركوس أوريليوس الذي اشتهر بمجموعة "التأملات" التي انتشرت في سائر أنحاء الإمبراطورية في ذلك الوقت. وقد تناولت تأملاته قضايا عديدة كان مصدرها التقارير التي كانت ترد إليه من الحكام والجنرالات وراء البحار إلى طلبات الاستغاثة من سكان بعض المدن، إلى الخلافات حول الممتلكات الخاصة. كان يتجمّع يومياً في مكتبه المذهّب والمرمري أكثر من 12 قضية للبتّ فيها. وكان يقوم بهذه العملية بنفسه ويكتب الأحكام التي يصدرها بنفسه أيضاً مع تبريراته وتفسيراته. ولم يجد في أي قضية من القضايا التي تهم أصحابها شأناً صغيراً لا يستحق عناء البحث عن حلّ لها والرد عليها.

كان الإمبراطور يحرص على الإجابة بنفسه على تساؤلات وشكاوى وقضايا المواطنين. ولكن ذلك لا يعني أنه كان يفتقر إلى الإدارة. وتؤكد المؤلفة الدكتوره بيرد أنه كان للإمبراطور جهاز من المساعدين يبلغ عدده 12 شخصاً. وكان هناك مسؤول إداري لكل 330 ألف مواطن في إمبراطورية كانت تمتد من أسكوتلندا شمالاً حتى الصحراء الأفريقية جنوباً. ومن البرتغال غرباً حتى العراق شرقاً. وكان عدد سكانها في ذلك الوقت 50 مليون إنسان (اليوم أقل من نصف سكان مصر وحدها). كانت هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف تحت سلطة رجل واحد فقط هو الإمبراطور. وكان عليه أن يحفظ وحدة الإمبراطورية وسلامتها.. وأن يضمن ولاء "شعوبها" المتعددة الأجناس والأعراق واللغات. كان الإمبراطور يتدخل في كل صغيرة وكبيرة حتى أن الإمبراطور تيبيريوس منع -وحرّم- المعجنات مثلاً (كالفطائر والكعك) التي كانت تقدمها المطاعم. وإذا ما حضر الإمبراطور مناسبة عامة تتدفق عليه عشرات الطلبات الخاصة من أصحاب الحاجات، حتى إن يوليوس قيصر (الذي لم يكن إمبراطوراً) كان يحمل معه إلى ميدان المصارعة ملفاته الإدارية رغم أن ذلك يُعتبر عملاً سلبياً.

طبعاً كان للأباطرة جهاز إداري (سكرتاريا)، ولكن الأباطرة أنفسهم كانوا يحبون أن يقوموا بالعمل بأنفسهم. وكان القلم أحد أهم أسلحة الإمبراطور، حتى إن الإمبراطور هادريان طعن بقلمه أحد "العبيد". أما الإمبراطور دوميتيان فكان يستخدم قلمه لطعن الذباب وقتله.

تقدّم المؤلفة الدكتورة بيرد شواهد على أن الأباطرة الرومان كانوا يسجلون وقائع تعاملهم مع المواطنين وإجابتهم على أسئلتهم واستفساراتهم حول قضايا خاصة وعامة على حجارة تُنقل إلى سائر أنحاء الإمبراطورية (وهي مهمة الإعلام اليوم). حتى إن النص التاريخي الشهير للإمبراطور أوغسطس وعنوانه "ماذا فعلت؟" كان نصاً مكتوباً للعامة من المواطنين للاطلاع والمعرفة. وكان، كما تقول المؤلفة، أشبه ما يكون بالسيرة الذاتية لعرضها على الرأي العام. إضافةً إلى كل ذلك كانت هناك التماثيل التي تنتصب في ساحات المدن، والتي تصوّر وجه الإمبراطور بصورة مثالية للرجل الذي يقوم بكامل مسؤولياته في شتى أرجاء الإمبراطورية.

وقد أغرق يوليوس قيصر العالم بصوره وتماثيله. ويقدّر عدد تماثيل الإمبراطور أغسطس مثلاً بحوالي 50 ألف تمثال بعضها كان بأحجام ضخمة جداً.

وكانت هذه التماثيل تُرسم فوق المرايا والمزهريات والأواني الزجاجية، بحيث إن المواطن في الإمبراطورية يرى رسماً أو تمثالاً رخامياً للإمبراطور أينما توجه خارج البيت أو داخله!!

كان الإمبراطور أغنى رجل في الإمبراطورية، وبالتالي أغنى رجل في العالم. كان يملك ثلاثين قصراً في روما وحدها. كما كان يملك مزارع عديدة في ضواحي المدينة، لا يزال معظمها قائماً - كحدائق عامة- حتى اليوم. أما في المقاطعات، فكان يملك مناجم الرخام ومصانع الفخار والخزف والأراضي الزراعية. وكانت عائدات كل هذه الثروات تُستخدم لتأمين نفقات إدارة الإمبراطورية وتجميلها والإنفاق على الأجهزة (الإدارية والأمنية). وفوق ذلك كانت توفر للإمبراطور المال اللازم لتوزيعه على المواطنين كيف يشاء ومتى يشاء. وكان سائداً أن يقوم الإمبراطور بنفسه بإلقاء الهبات المالية النقدية على التجمعات الشعبية التي تحتشد أمام القصر الإمبراطوري في أيام ومناسبات محددة لالتقاطها باعتبارها هبةً من الإمبراطور. وكان بعض ضيوف الإمبراطور نيرون مثلاً المدعوون إلى العشاء يصابون بالدهشة عندما يجدون أنفسهم داخل غرف في القصر مملوءة بالمال والمجوهرات الثمينة.. قبل انتقالهم إلى طاولة عشاء الإمبراطور!!

ولكن ذلك لا يعني الأمن والأمان دائماً. فالأمزجة تتغير وتتقلب رأساً على عقب حتى أنها تتراوح، كما تقول المؤلفة، بين الحياة والموت. فالإمبراطور كاليغولا مثلاً كان صاحب مزاج خاص ومتقلب بحيث إنه قد يقدم على قطع رأس مساعده أو مستشاره في أي وقت يشاء ويضعه فوق طاولة طعام العشاء!!

وتقول المؤلفة إنه نادراً ما يكون الإمبراطور أنيقاً في ملابسه. فالإمبراطور كاليغولا مثلاً كان "أحمش الساقين" (بمعنى أن ساقيه طويلتان ونحيفتان)، وكان الإمبراطور كالياهاد صاحب أنف طويل ومعوج (أحدب المنقار)، وكان مصاباً بالفتق. إلا أن هؤلاء كانوا يعتقدون بأنهم يمثلون الله ويتصرّفون كآلهة وهم على ما هم عليه من خَلْق ذميم.

كان الإمبراطور أغسطس مثلاً يزور مجلس الشيوخ ويصافح كل عضو في المجلس ويسمّيه باسمه. ولكنه كان يقبّل البعض منهم أيضاً.

وكان يتفقد مطبخ القصر الإمبراطوري ويحتفظ فيه بعنزة، وكان يقضي معظم أوقات بعد الظهر يصطاد السمك.

أما الإمبراطور كومودوس فكان يغادر مقصورة الإمبراطور في حلبات المصارعة ويشترك بنفسه في قتال المتصارعين، ولكن بعد أن يتأكد من أنهم مكبّلون جيداً بالحبال!! وهكذا يخرج من الحلبة منتصراً عليهم جميعاً.

لم يشترك الأباطرة في الحروب التي شنتها جيوش الإمبراطورية، ولكن بعضهم كان يتفقد القوات العسكرية ويشارك جنوده شظف العيش، حتى أن الإمبراطور تراجان مثلاً مزّق ثوبه مرة ليصنع منه ضمادات لمعالجة الجرحى من قواته. وحتى عندما كان الأباطرة يتعرّضون للنقد اللاذع والهزلي، كانوا يتجاوزون الأمر ويشاركون في الابتسام.

في مقدمة الكتاب وعدت المؤلفة بأن تلقي الضوء على العاملين المقرّبين من الأباطرة، ولكنها استغرقت في رواياتها حول الأباطرة أنفسهم، ولم تذكر عن مساعديهم سوى القليل جداً. فقد كانوا إما من العبيد أو من الطباخين ومزيني الشعر وحتى من المدرّسين والمحاسبين.

وحده نيرون كان يغطي وجهه برسم مستعار ويمشي الخيلاء على مسرح الحياة، إلا أن الأباطرة جميعاً -تؤكد المؤلفة- كانوا يدركون أنهم وإن كانوا يمارسون السلطة باسم الآلهة ونيابة عنهم، إلا أنهم كانوا في قرارة نفوسهم واثقين من النهاية الحتمية. وقد وصف هذه النهاية الإمبراطور أغسطس، ونقلتها عنه المؤلفة الدكتوره بيرد، وذلك عندما قال وهو على فراش الموت: "بما أن المسرحية قد انتهت بشكل جيد، أسمعوني صوت تصفيقكم وارفعوا صيحات الإعجاب والتقدير". لقد أسدلت الستارة على الأباطرة جميعاً، ولكن ألم تترك الإمبراطورية الرومانية فعلاً ما يستحق الإعجاب والتقدير؟

الانعطافة الكبرى لعلم الاجتماع

La gran transformación de la sociología

Esteban Torres

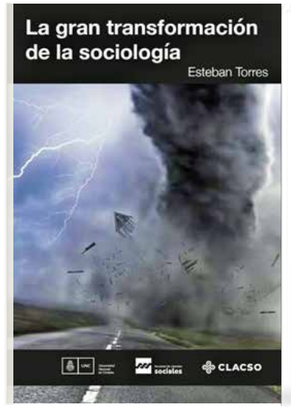

قراءة بلقاسم الجطاري
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يبدو أن راهن الأحداث قد أصبح أشد تأثيرا في رسم مخططات الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فبخلاف المنازع التقليدية في البحث، والتي كانت تولي أشد الاهتمام للظواهر الصغرى، والبحث في إطار حالات وعينات، وغيرها من مواضيع البحث الميكروسوسيولوجية المتصلة بالجماعات الصغرى، أصبح التقليد المهيمن، خلال السنوات الأخيرة، يقضي باتباع الاتجاه البحثي الذي يدعو إلى استقراء الظواهر الكبرى، والتحري في بنيات النشاط البشري، من خلال تتبع تاريخيته الممتدة، وجغرافياته المتعددة.

«الانعطافة الكبرى لعلم الاجتماع»، لاستيبان توريس (Esteban Torres)، عمل يدور في هذا المدار، ويدعي الانخراط في هذا الانشغال العلمي المستجد. إنه عمل شامل وعميق يستكشف التطور التاريخي والآثار الحالية للتغييرات الاجتماعية والثقافية التي شكلت المجتمع الحديث.

وهكذا يقوم الباحث، على امتداد فصول كتابه، بدراسة العديد من جوانب هذا التحول، بدءًا من ظهور الحضارة، وصولاً إلى تأثير التكنولوجيا والعولمة على الحياة اليومية والعلاقات الإنسانية.

يبدأ الكاتب تحليله بتسليط الضوء على كيفية انتقال المجتمعات الزراعية إلى المجتمعات الصناعية وكان نقطة تحول في التاريخ. كان للتحضر الضخم وتركيز السكان في المدن تأثير عميق على الطريقة التي يعيش بها الناس ويعملون. يحلل توريس كيف أن هذا التغيير دفع إلى ظهور هياكل اجتماعية جديدة، مثل ظهور فئة عاملة صناعية ونخبة رجال أعمال، وكيف أثر ذلك على ديناميات القوة وعلى النضال من أجل حقوق العمال.

مع تقدمه في تحليله، يستكشف الكاتب الدور الحاسم الذي لعبته التكنولوجيا في تحول المجتمع. فمنذ الثورة الصناعية حتى العصر الرقمي، يبين توريس أن التكنولوجيا قد أحدثت تحولاً عميقاً في الطريقة التي ينتج بها الناس السلع، ويتواصلون، ويصلون إلى المعلومات. وتحتل العولمة أيضًا مكانة بارزة في تحليله، حيث إن العالم الحالي متصل بشكل متزايد. يبحث توريس في الكيفية التي أدى بها التبادل الثقافي والاقتصادي والسياسي، على الصعيد العالمي، إلى زيادة الترابط بين الدول، وكيف أن هذا قد أسهم في إعادة تشكيل الهويات الفردية والجماعية.

في كتابه، لا يركز توريس فقط على الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية للتحول الاجتماعي، بل يستكشف أيضًا آثاره على العلاقات بين الأفراد والحياة اليومية. يحلل كيف أن الحضارة والهجرة قد غيّرتا الطريقة التي يتفاعل بها الناس، مما أدى إلى خلق ديناميات جديدة في الأسر والمجتمعات. بالإضافة إلى ذلك، يتطرق إلى أهمية التعليم المتزايدة، وكيف أنه كان محركًا للتغيير الاجتماعي، من خلال توفير فرص جديدة للأفراد وطرق حديثة للتنقل الاجتماعي.

جانب أساسي يحلله توريس هو كيف أن التحول الاجتماعي أثر على الهوية وإدراك الذات. فمع تصاعد تنوع المجتمعات والعولمة، يواجه الأفراد تحديات في بناء هويتهم. أكثر من ذلك، يبحث توريس في تشابك الهويات الفردية والجماعية مع الانتماء إلى مجموعات عرقية ووطنية ودينية وثقافية، وكيف أن هذه الهويات يمكن أن تتغير وتتكيف بناءً على الظروف الاجتماعية والسياسية. إنها أسئلة شائكة جداً، بيد أن الباحث يخوض فيها بكثير من الرشاقة والضبط المنهجيين، مستدعيا جهازا مفهوميا ملائما، قام باستدعائه من معين الدراسات السوسيولوجية المؤسسية.

وكي يستوعب القارئ مقدار توجس الكاتب من الواقع الحاصل، نحيله على فقرة دالة استهل بها الكاتب مؤلفه، يقول فيها: «لقد انطلقت جميع إشارات الخطر الحمراء في العالم منذ وقت طويل، وهي إشارات بمثابة ومضات يمكن اختزالها، بصورة أدق، في منظر

مخيف يكشف عن الارتفاع المتزايد للاضطرابات المعاصرة. إن الأمور تسوء في أمريكا اللاتينية وفي مجمل المجتمع العالمي. هذا، وقد تم التأكيد بقوة، منذ أربعة عقود، على فكرة أن العالم ينفلت تدريجياً من أيادي سلط الرقابة، ليقع في حضن الأقلية، وأن الشرور الكبيرة مثل الفقر والتفاوت الاجتماعي وتدهور البيئة، بتباينها الواضح بين البلدان، لا تزال تتزايد بوتيرة مذهلة.

«لا شك أن الكتاب من صنف سوسيولوجيا الأطروحة، بدليل عدم اكتفائه بوصف الواقع الاجتماعي، كما دأبت العديد من الدراسات الجارية في مضمار البحث السوسيولوجي الأكاديمي، إذ يقترح الباحث تصورات اجتماعية بديلة، علاوة على حلول ومخارج لمشكلات تخص تفاوتات تدبير السلط السياسية والاجتماعية، ويكفي أن نقتبس من تصدير الكتاب قول الباحث ألفارو لينيرا (Álvaro Linera): «سعيا إلى فهم الواقع على نحو دقيق، ورغبة في تحويله على أساس فعّال، يجب على علم الاجتماع، وعلى العلوم الاجتماعية بشكل عام، أن تكون قادرة على طرح الأسئلة الجوهرية التي تكشف عن خيوط السيطرة واستغلال الإنسان، وفهم المقاومات التي تنظم الفضاء الاجتماعي وتخترقه بدقة متناهية. كما يجب على هذه العلوم أيضا أن تستخرج من هذا السياق، في واقع الأمور كما هو، على القوة الحقيقية للأشياء التي يمكن أن تكون مختلفة عما تبدو عليه للناظر غير المتخصص».

إن العلمية، في نظر توريس، ليست مجرد منهج أو خوارزمية، بل هي طريقة للتفكير بشكل نقدي في العالم، وطريقة لمحاورة مختلف الانتظامات التي تحكم الترتيب الاجتماعي الذي يمكن اعتباره مجرد انحيازات مرسّخة بفعل السلط والمؤسسات.

الحقيقة أن كتاب توريس هو محاولة لطرح الأسئلة الضرورية التي تحث علم الاجتماع على التخلص من التواطؤ التعيس مع الأمور كما هي، واستعادة دوره النقدي والشامل والملتزم، مرة أخرى، مع مواجهة كل ما يمكن أن يؤول إليه عالمنا حال تركه ليواجه مصيره بغير مراصد سوسيولوجية من هذا القبيل.

يرى الباحث أن العالم في حاجة إلى ثورة براديغمية عالمية، وأن هذه الثورة يجب أن تتأسس على تصوّر أطُر إنتاج جديدة، ومبادئ تشغيل واقعية مستجدة، داخل نظام الرأسمالية العالمي الأكاديمي وخارجه، هذا النظام المتماسك والقوي والمتوسع الذي تسعى داخله جميع تيارات علم الاجتماع العالمي إلى تحديث مشاريعها الفكرية وآفاق توقعاتها. وبهذا الشكل، وبعيدًا عن أي خطيئة مثلى، يعد البارادايغم العالمي أفقا جديدا جديدة لعلم الاجتماع، بمقدوره أن يقف بقوة في وجه تحديات الواقع التاريخي الحالي، وأن يدفع في اتجاه مبادرة جديدة علمية ونقدية وسياسية من جوف نفس الرأسمالية الأكاديمية الفعلية.

هذا النفس المتفائل هو ما دفع الكاتب إلى اختتام مؤلفه بالقول: «أعتقد أن الوقت قد حان أخيرًا لنشر هذه الروح العالمية الجديدة في كل زاوية من زوايا علم الاجتماع الإقليمي، وعلى هذا النحو سيكون بوسعنا استعادة توقعات حصول تغيرات هيكلية في أمريكا اللاتينية، ومجمل المجتمع العالمي».

في الختام، يمكن القول إن «الانعطافة الكبرى لعلم الاجتماع»، لاستيبان توريس، كتاب يغطي مجموعة واسعة من المواضيع والجوانب المتعلقة بتطور المجتمع الحديث. فمن خلال تحليله، يظهر الكاتب كيف أن التغييرات التاريخية والمعاصرة في الحضارة، والتكنولوجيا، والعولمة، والهوية قد شكلت الطريقة التي نعيش ونعمل ونتفاعل بها في العالم الحالي. إن العمل، باختصار، دعوة صريحة إلى التأمل في الماضي والحاضر، والنظر في المعرفة التي يمكن أن توجه قراراتنا وأفعالنا في المستقبل.

ولا بأس، أيضا، للقارئ أن يستأنس بإشارة لطيفة جاءت في قراءة هادئة للكتاب، أجراها الباحث إيميليانو تورتوريلا Emiliano Torterola، يقول فيها: «أجد من الأنسب عدم البحث عن الوحدة والاتساق، في هذا العمل، باتباع المسلك الخطي. إن من شأن ذلك أن يشوش على خطوط الوصل التي تشد فقرات الكتاب. يبدو من الأجدى تتبع العلاقات الخفية المتعددة التي ينسجها الباحث في ثنايا عمله، ولا سيما تلك التي يجريها بين مستويين مركزيين: المستوى التاريخي- الاجتماعي، والمستوى الاجتماعي- الفكري.»

إنها إشارة تقترح سندا منهجيا لبلوغ المرامي البعيدة التي يتوخاها الكاتب، وتستبق أحكاما محتملة تتحرى، لاعتبارات التقاليد الأكاديمية الجامعية، منطقا تصاعديا في معالجة الإشكاليات. وعلاوة على ذلك، هي دعوة إلى قراءة الكتاب في سياق أفق فكري تجديدي، سواء على مستوى مضامينه، أو على مستوى بنائه المنهجي ومعماره النسقي.

العالم الذي صنعته الفلسفة

من أفلاطون إلى العصر الديجيتالي

The World Philosophy Made:

From Plato to the Digital Age

Scott Soames

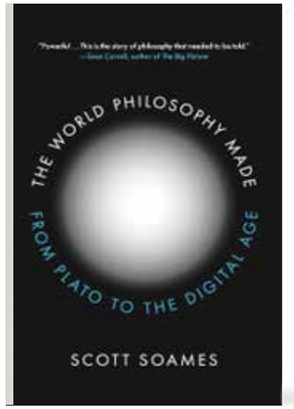

قراءة رضوان السيد
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

سكوت سومز فيلسوف أميركي يعمل في فلسفة اللغة ولساناتها. قد ظلّ طوال العقود الماضية بين القلة المؤمنة بفكرة التقدم، في حين غادرت الفكرة وأصولها كثرة من فلاسفة ما بعد الحداثة وبخاصةٍ الفرنسيون منهم وبعض الأميركيين.

يدرس سومز تسعة مجالات أسهمت الفلسفة في تقدمها عبر التاريخ منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو وحتى العصر الرقمي الذي نعيش فيه. والمجالات أو الأزمنة هي على النحو التالي: من فجر الفلسفة الغربية وإلى الهدنة بين الإيمان والعقل أيام توما الأكويني، ثم بدايات العلم الحديث ثم تصور المجتمعات الحرة والأسواق الحرة والأناس الأحرار. أما الفصلان الخامس والسادس فينشغلان بالمنطق الحديث وأسس الرياضيات والمنطق والحوسبة. وينشغل الفصلان السابع والثامن بعلم اللغة وعلم الاختيار العقلاني- في حين ينشغل الفصلان التاسع والعاشر بمسائل العقل والجسد والعلوم المعرفية وعلائق الفلسفة وبالفيزياء. وفي الفصلين الحادي عشر والثاني عشر هناك معالجات لمسائل الحرية والعدالة والمجتمع الصالح فالقوانين والمؤسسات والدولة. وينشغل الفصلان الثالث عشر والرابع عشر بموضوعية الأخلاق والفضيلة والسعادة والمعنى في مواجهة الموت. وهناك ملحق في معنى الموت النبيل لكلٍ من سقراط وديفيد هيوم!

يستند سومز في كتابه إلى استنتاجين: أنّ ما وصلنا إليه من علوم الطبيعة والرياضيات والتكنولوجيا والاجتماع والمؤسسات السياسية والحياة الاقتصادية والتعليم والثقافة والدين وفهمنا لأنفسنا، قد شكلته الفلسفة؛ وذلك بسبب الترابط الأساسي للفلسفة مع كل المعرفة التأسيسية. والاستنتاج الثاني أن الفلسفة لا تحرز تقدماً أبداً اعتماداً على خلفية من الجهل، بل تزدهر عندما يُعرفُ ما يكفي في مجالٍ ما لإنجاز تقدم كبير يمكن تصوره بالرّغم من عدم اكتمال إدراكه بسبب الحاجة إلى طرق جديدة يساعد فيها وعليها الفلاسفة من خلال إعطائنا مفاهيم جديدة، وإعادة تفسير الحقائق القديمة وتجديد تصورات الأسئلة لتوسيع مساحات البحث عن إجاباتها.

جاء في الجملة الأولى للكتاب الأول من ميتافيزيقا أرسطو: كل البشر بفطرتهم يرغبون في المعرفة. والمعرفة هذه لكي تكون كذلك تحتاج لتحديد مفاهيم كثيرة من أجل معرفة العالم ومعرفة أنفسنا. والمؤلف يرى أننا مدينون في استكشاف المفاهيم وتنظيمها في نطاق المعرفة للثلاثة الكبار سقراط وأفلاطون وأرسطو. ومن بين هؤلاء الثلاثة أفلاطون هو الشخصية المركزية. فأرسطو الكاتب الكبير من تلامذته، ونحن مدينون لأفلاطون بما نعرفه عن سقراط(في المحاورات). نعرف من أفلاطون أنّ سقراط كان الرجل الذي جرؤ على السؤال وعلى ثلاث مستويات: أشكال الخير والعدل والفضيلة والسعادة اللازمة للقوانين العامة التي تشرح السلوك البشري، وأشكال الهوية والتمييز، وأشكال الجسم والفضاء والسرعة والحركة والسكون. والكلمة اليونانية التي استخدمها أفلاطون للتعبير عن هذه المفاهيم هي الصورة أو الشكل مما يشير إلى أهمية القرن الخامس قبل الميلاد حين ظهرت لدى اليونانيين فكرة الذات أو الشخصية المستقلة السيادة. وظهر مفهوم النفس ويعني الشبح الذي يفكّر والقادر على اتخاذ القرار الأخلاقي والإدراك العلمي وهو مركز المسؤولية الأخلاقية. وفي الجزء الرابع من الجمهورية يحدّد أفلاطون مفهومه للروح بجوانبها الثلاثة: الشهوات أو الرغبات وقوة الإرادة أو قوة الدفاع والعقل. وقد كان الهدف من أكاديمية أفلاطون هو توفير التعليم الذي يؤدي إلى هذا الإدراك للذات.

أما أرسطو فكان من أتباع أفلاطون المقربين في أيامه الأولى. وبمرور الوقت تخلى عن هذه الآراء وعدّل نظرية الأشكال على نحوٍ بعيد المدى، وقدم أول صياغةٍ منهجية لمبادئ الاستدلال الصحيح منطقياً، وطوّر نظريات في الأخلاق والسياسة كانت أكثر واقعية وقابلية للتطبيق.

يعنون المؤلف للفصل الثاني من كتابه بالهدنة بين الإيمان والعقل. فقد كان إحياء الفلسفة اليونانية في أوروبا المسيحية طريقاً إلى المعرفة الدنيوية في وقتٍ كان الدين فيه دليل الفرد للحياة. وهذا هو التوليف التومائي (توماس أكويناس) للفلسفة الأرسطية مع اللاهوت المسيحي. ومن ضمن هذه الهدنة جاءت لاهوتيات وتأثير كلٍ من جون دانس سكوت وروجر بيكون ووليم الأوكامي، في وضع الفلسفة في مسارٍ علمي مستقل.

وفي الفصل الثالث عن بدايات العلم الحديث، يحدث التداخل بين الفلسفة والرياضيات والعلوم في أواخر عصر النهضة وأوائل العصر الحديث عند كوبرنيكوس وكبلر وغاليليو وديكارت ونيوتن وبويل ولايبنتز وبيركلي وهيوم وكانط. لدى هؤلاء جميعاً تنتهي المهادنة في زمن اللاهوت والفلسفة، وتمضي الفلسفة مع العلم في حين يتلكأ اللاهوت، ليحدث الانفصال بين هيوم ونيوتن وكانط رغم سلوك هؤلاء المفكرين مناهج مختلفة. فبعنوان: مجتمعات حرة وأسواق حرة وأناس أحرار، يدرس المؤلف ظهور فيلسوف سياسي كبير هوتوماس هوبز(1588-1679) الذي نُشر عمله الشهير الليفياثان عام 1651. اعتقد هوبز أن الخير هو ما يكون مرغوباً، وكل شخص يسعى لتحقيق أقصى قدر من مصلحته. ولذا فقد اعتقد أن الحياة البشرية من دون قوة الدولة ستكون حرباً للجميع على الجميع. ومن هنا تأتي ضرورة تبرير وجود الدولة والخضوع لسلطتها لأن القيام بذلك من مصلحتنا. وما لم يراعه هوبز راعاه جون لوك. فبالإضافة إلى دولة الطبيعة عند هوبز، هناك عند لوك العقد الاجتماعي الذي يتنازل بمقتضاه الأفراد عن السلطة للدولة، والعقل البشري هو الذي يدرك القانون الأخلاقي وهو مصدر الحقوق والالتزامات التي لا تنبع من المؤسسة السياسية. ولدى كانط ظهرت فكرة الحتمية القاطعة، فعقلانيتنا المشتركة وليس مشاعرنا الخيرية هي مصدر الأخلاق عند كانط. الرأي الكانطي هو التبني العالمي للقواعد الأخلاقية. ويرى المؤلف أنّ الوصول إلى الأخلاقيات العقلانية هو المزيج من الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية لهيوم وكانط.

إنّ أحد أهم إنجازات الفلسفة بحسب سومز هو اختراع المنطق الحديث الذي بدأه عالم الرياضيات والفيلسوف غوتلوب فريغه، وأثر في الاستكمال لدى أربعٍ من قرائه في القرن العشرين: برتراند راسل وإدموند هوسرل ورودولف كارناب ولودفيغ فيتغنشتاين. يقول فريغه: بعض الفلاسفة علماء رياضيات. ومع تطور وتطوير نظام فريغه ظهر المنطق الرمزي الحديث كنظام علمي مستقل في ثلاثينات القرن العشرين.

ومن المنطق الرمزي وإلى النظم الرقمية يتحول المؤلف إلى علم اللغة الحديث ليعرض إسهام الفلاسفة فيه. وهو يتحدث عن إسهام نعوم تشومسكي ومفهومه للنظرية اللغوية ودور النحو في ربط الصوت بالمعنى. فبين عامي 1955 و1965 وضع تشومسكي الأسس الفلسفية لعلم اللغة الناشئ في الأبنية المعرفية للنظرية اللغوية والتراكيب النحوية وجوانب من نظرية النحو. ومن المنطق الرمزي وعلم اللغة يسير سومز باتجاه علم الاختيار العقلاني. ومن نظرية الاختيار وتجلياتها في الدساتير والأفكار الكامنة وراءها، مضى سومز باتجاه العقل والجسد والعلوم المعرفية. فعلم النفس المعرفي يدرس العقل البشري في المقام الأول. لكن حقيقة أنّ العقل هو مجال مستقل للدراسة لا يعني أن الأشياء التي يتحدث عنها- المعتقدات والرغبات والتصورات - لا علاقة لها أو تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك التي تطلق عليها باعتبارها فيزيائية. وهذه مجرد طريقة أخرى للقول إننا لم نصل إلى حلٍ نهائي لمشكلة العقل والجسد الكلاسيكية. لكنّ الخبر السارّ هو أننا لسنا بحاجة إلى حل نهائي للمسألة لمواصلة التقدم الذي يحرزه حالياً الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الأعصاب وغيرهم.

لماذا تحتاج الفيزياء إلى فلسفة؟ لا بد من تفسير الزمان والمكان والمادة والحركة. ففلسفة الفيزياء تدور حول الفهم، وتحاول شرح ما تخبرنا به الفيزياء. ألبرت أينشتاين في نظرية النسبية (1904) قال إنه يدين كثيراً في توصله للنسبية لكلٍ من شليك الفيلسوف المثقف في العلوم ومؤسس الوضعية المنطقية- والفيلسوف إرنست ماخ.

في الفصل الحادي عشر بعنوان: الحرية والعدالة والمجتمع الصالح يُعنى سومز بمفكرين كبيرين تطورت على يديهما فلسفة القانون المعاصرة وهما فريدريك هايك (1899-1992) وجون راولز (1921-2002) في نظرية العدالة (1971). ومع أن راولز هو الأكثر تأثيراً والذي دار حول كتابه النقاش طوال أربعين عاماً؛ فإنّ المؤلّف يضيف إليه نظرية استبداد المثل الأعلى لجيرالد غوس، ولا ينسى كارل ماركس مع أنه من مفكري القرن التاسع عشر، لكنّ تأثيره تعاظم في القرن العشرين!

المفهوم المركزي في فلسفة هايك هو الحرية، وكتابه: دستور الحرية (1960). فالدرجة العالية من الحرية الفردية تميل إلى تسهيل الرفاهية الفردية المعنية بالإنجاز والابتكار. ولأن النجاح (الفردي) يكافأ وليس كذلك الفشل؛ فإنّ الحرية تولد عدم المساواة، وهايك يرى أنها مشكلة، لكنْ مع توفير حدٍ أدنى اجتماعي، فإنّ عدم المساواة نفسها ضرورية لإنتاج فوائد غير مسبوقة للجميع في المستقبل. نتائج هايك واستنتاجاته لقيت تطويراً وأسئلة من روبرت نوزيك (1938-2002) الذي رأى أن الحرية الطليقة تخرب الأنماط. فلا توجد قاعدة تحدد التوزيع العادل للدخل أو الثروة على الأفراد بناءً على احتياجاتهم أو ميزاتهم أو قيمة إسهاماتهم أو جهودهم.

في الوقت نفسه تقريباً لقيت حرية

هايك العالية الوتيرة إجابةً أو استجابة مختلفة من جانب جون راولز في نظرية العدالة (1971) التي جرى من خلالها تجاوز تبريرات هايك الواسعة. أولاً لأنه قدم دعماً فلسفياً للأيديولوجيا المسيطرة في دولة الرفاهية الليبرالية، وثانياً لأنه وضع نهايةً للبحث المعياري المهيمن في الفلسفة التحليلية. توصل راولز إلى القاعدتين 1 و2 مع منح الأولى الأولوية على 2. القاعدة الأولى: لكل شخصٍ الحق المتساوي في التمتع بأوسع حرية أساسية تتفق مع حرية مماثلة للجميع. والقاعدة الثانية: تُوزّع السلع الأولية مثل الثروة والدخل -التي تكون نافعة بغض النظر عن رغبة المرء- على السكان لتحسين حالة أفراد المجتمع الأقلّ حظاً، والتي تُستمد من الدوائر والمناصب التي تشغلها المنافسة العادلة في ظل ظروف تكافؤ الفرص. تعتمد محاولة راولز للوصول إلى القاعدتين على مفهوم طريقة عادلة لتقرير شروط عقدنا الاجتماعي المشترك. وبمجرد أن ننظر في فكرة نظرية العقد، يخالجنا الاعتقاد بأنها لن تُسفر عن المبادئ التي نريدها ما لم يكن الأطراف مدفوعين إلى حدٍ ما على الأقل بنزعة الخير لكن الجميع بين عدم الاهتمام المتبادّل وحجاب الجهل يحقق الهدف نفسه من النزوع إلى الخير. لأنّ هذا المزيج من الشروط يجبر كل شخصٍ في منصبه الأصلي على أن يأخذ في الاعتبار مصلحة الآخرين (نظرية العدالة، ص 148).

إنّ الإنصاف الحقيقي هو أحد مكونات نظرتنا الأخلاقية. لكنّ الإنصاف الراولزي ليس كذلك. ذلك لأنّ الإنصاف ينطوي على أنشطة تعاونية وعلاقات واتفاقات تؤدي إلى توقعات متبادلة، والتي تولّد بدورها واجبات. تنشأ مثل تلك الأسئلة عندما يُفترض أن الطرفين متساويان أخلاقياً بالمعنى المتواضَع عليه الذي استقرّ. ثم يكون المرء ملزماً أخلاقياً بالمساواة بحسن نية وعدم الكذب أو التضليل. الإنصاف إذن هو مفهوم اجتماعي قبل - سياسي يجب فهمه قبل إرساء المبادئ الأساسية لتنظيم عدالة مجتمعٍ معقّد.

وعلى عكس راولز، لا يسعى جيرالد غوس (في: استبداد المثل الأعلى) لافتراض نظام مثالي يأمل من ورائه في تحسين المجتمعات التي نعيش فيها. فبحسب غوس لا يوجد إجماع مثالي يمكن التوصل إليه، وأنه ينبغي استبدال هذه النُهُج المثالية بنماذج أكثر واقعية لاستخراج اتفاقيات أكثر تحديداً.

إنّ الطريف أنّ سومز يقطع سلسلة الفلسفة السياسية في النصف الثاني من القرن العشرين، ليعود إلى كارل ماركس (1818-1883) كأنما يريد أن يشرح لنا دور الفلسفة في إنشاء الاقتصاد السياسي. يضع سومز كارل ماركس في سلسلة الفلاسفة الألمان ما بعد كانت وهيغل، أدرك كارل ماركس كما يقول المؤلف الحاجة إلى ديكتاتورية البروليتاريا والتي سيكون دورها القضاء على بقايا الرأسمالية. وما تحقق شيئ من توقعات ماركس، لكن فلسفته للعدالة إذا صح التعبير سيطرت على القرن العشرين، وأدت إلى تعظيم دور الدولة.

في الفصل الثاني عشر بعنوان: القوانين والمؤسسات والدولة: يدرس المؤلف عمل هربرت هارت (مفهوم القانون، 1961) وهو الفيلسوف الرائد في هذا المجال بحسب سومز. وسلطة القانون موجودةٌ بين قطبين أحدهما مستمدٌ من الإكراه والآخر مستمدٌ من قيمٍ أخلاقية وغير أخلاقية. إنّ القواعد الأخلاقية والقانونية للالتزام والواجب تملك بعض أوجُه الشبه المذهلة.. كلتاهما تطالب بوضوح بوجوب تلبيتها من أي مجموعةٍ من البشر الذين يجب أن ينجحوا في العيش معاً. وتختلف القوانين في الوظيفة وفي مطالب التطبيق من الدستور والمحاكم الدستورية، وإلى ما يصدر عن مجالس النواب، فضلاً عن مبدأ فصل السلطات حتى لا تتجمع سلطات كبيرة بيد طرفٍ واحدٍ أو طرفين. إنما في الولايات المتحدة ما يزال هناك تنازع حول الصلاحيات بين مجلس النواب والمحكمة الدستورية العليا.

وفي الفصل الثالث عشر عن "موضوعية الأخلاق" يقرر سومز أنّ الفلسفة الأخلاقية خلال معظم القرن العشرين بقيت في ظل ديفيد هيوم وعمانوئيل كانط. وقد جادل هيوم أنّ مصدر الأخلاق هو الشعور بالإحساس تجاه الآخرين المتأصل في طبيعتنا البشرية المشتركة. في حين وافق كانط على أن الأخلاق متجذرة في الطبيعة البشرية وأنكر نشوءها من الرغبة أو المشاعر أو أي عاطفة إنسانية. ويعتبر عالم الاجتماع الشهير جيمس ويلسون (1931-2012) في كتابه: المعنى الأخلاقي أن هناك شيئاً مثل المعرفة التجريبية للحقائق الأخلاقية والتي يمكن تطويرها وجعلها أكثر منهجية من خلال البحث العلمي الاجتماعي. إنّ لدينا حساً أخلاقياً يتكون من مجموعة معقدة من التصرفات الاجتماعية والبيولوجية التي تربطنا بزملائنا والتي هي نتاج هبتنا الفطرية وتجربتنا العائلية المبكرة.

في فصل "السعادة والفضيلة والمعنى في مواجهة الموت" يذهب سومز إلى أنّ الفلاسفة يمكن أن يفخروا بإسهاماتهم في جودة تعليمنا وقوانيننا وسياستنا واقتصادنا وأخلاقنا. إنّ العبء الذي رُفع عن الفلسفة لعدة قرونٍ في الغرب وتحملته المسيحية عاد الآن بعد أن لم تعد المسيحية القوة الفكرية المهيمنة التي كانت عليها في السابق. لا يكمن التحدي في استبدال الإيمان الديني بأي نوع آخر من الإيمان، بل في صياغة نُهج عقلاني للحياة يساعد الأفراد على إيجاد ما يحتاجون إليه لمواجهة موتهم. وهناك ملاحظة فريدة لمالكولم موغريدج (1903-1990) استشهد بها على نطاقٍ واسعٍ في منتصف القرن العشرين: إحدى الخطايا الغربية في القرن العشرين التي طوّرناها إلى مستوى عالٍ جداً هي خطيئة السذاجة. لقد قيل إنه عندما يتوقف البشر عن الإيمان بالله فإنهم لا يؤمنون بشيئ، والحقيقة أسوأ بكثير: إنهم حينها

يؤمنون بأي شيئ!

ويختم سومز كتابه بملحقٍ عن الموت النبيل لكلٍ من سقراط وديفيد هيوم. أما سقراط فقد رأى من الواجب إطاعة حكم المحكمة التي قضت عليه بالموت لأنه خرج في نظر القضاة على القانون الأخلاقي الإلهي لأثينا. ورفض سقراط الهرب من تنفيذ الحكم ومات راضياً طاعةً للقانون مع أن جميع أصدقائه رأوا أن الحكم ظالم، وأن سقراط كان أفضل أهل أثينا أخلاقاً! أما ديفيد هيوم فسيطر عليه مرض الإسهال، فوزّع ثروته ومات راضياً على فراشه لأنه أدى واجبه الأخلاقي على أكمل وجهٍ طوال حياته!

يقول سكوت سومز في مطلع كتابه: هذا الكتاب يتحدث عن الإسهامات التي قدّمها الفلاسفة وما زالوا لحضارتنا. وبالطبع لم يكن الفلاسفة وحدهم هم مَن صنعوا العالم المتحضّر الذي نتمتع به اليوم. لكنّ آثار جهودهم كانت أكثر عمقاً وأبعد مدىً مما نتصوره عادةً. إنّ ما وصلنا إليه من علوم الطبيعة والرياضيات والتقنية والاجتماع والمؤسسات السياسية والحياة الاقتصادية والتعليم والثقافة والدين وفهمنا لأنفسنا قد شكلته الفلسفة، وليس هذا بمصادفة. إنه يرجع إلى الترابط الأساسي للفلسفة مع كل المعرفة التأسيسية.

دستور المدينة المنورة
من معالم جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

النظرية النقدية

La Théorie critique

Jean-Marc Durand-Gasselin

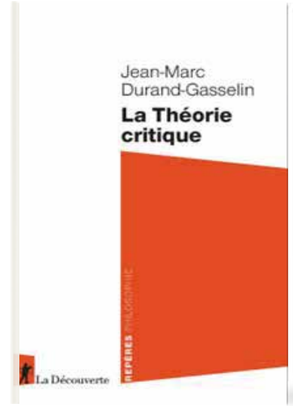

قراءة عبد الدائم السلامي
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

في كتابه "النظرية النقديّة" الصادر عن دار لاديكوفار بباريس سنة 2023، تتبّع الباحث الفرنسي المتخصّص في تاريخ الفلسفة الألمانية "جون-مارك دوران غاسلان" الظروفَ السياسيةَ والفكريةَ التي أحاطت بنشأة النظرية النقدية في ألمانيا، وقدّم تفصيلًا مدعومًا بقُوّة المراجع التاريخية لمسألة تعاقُب آراء فلاسفة هذه النظرية في التحديث الاجتماعي والسياسي والثقافي منذ ظهورها إلى يومنا هذا. وقد توزّع الكتابُ، إضافة إلى مقدّمته وخاتمته، على خمسة فصول هي "النظرية النقدية للكارثة الأوروبية [الحرب العالمية] الأولى: مشروع هوركهايمر"، و"النظرية النقدية للكارثة الأوروبية الثانية: الحداثة وتناقضاتها"، و"النظرية النقدية والديمقراطية: يورغن هابرماس: من دراسة الرأي السياسي إلى نظرية المجال السياسي العمومي". و"تجديد النظرية النقدية من قبل الحركات الاجتماعية: أكسل هونيت: التفكير في الصراع الاجتماعي مع هابرماس وضده"، و"صنع نظرية نقدية للعلاقة بالعالم والحداثة المعلّبة: هرتموت روزا". وعلى الاختلاف الجليّ الذي يَسِم موضوعات هذه الفصول إلاّ أنّ الباحث نجح في الإمساك بالخيط الناظم لأفكار هؤلاء الفلاسفة على امتداد أجيالهم الثلاثة من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هُونِيت مروراً بتطورات مدرسة فرنكفورت النقدية.

ظروف النشأة:

يذهب الباحث "جون مارك دوران غاسلان" إلى القول إنّ مصطلح "النظرية النقدية" يُغطّي الإنتاجَ الفكريَّ لمجموعة من الباحثين ذوي الرؤى الفلسفية المتنوّعة على غرار ماكس هوركهايمر، وتيودور أدرنو، وهربرت ماركوزه، وأكسل هونيت، وهارتموت روزا، وآخرين. وقد اتخذ هؤلاء من القوّة النقدية للماركسية، ومن تطوّر العلوم الإنسانية في مناهجها وموضوعاتها، خلفيّةً تُوجِّه سعيَهم إلى إظهار تناقضات المجتمع الرأسمالي وتشخيص أعطابه الاجتماعية والثقافية والسياسية، كما استندوا إلى الديالكتيك العقلي، ذاك الذي بشّرت به كتابات "إيمانويل كانط"، في دعوتهم إلى تغيير المجتمع الألماني، وأوروبا عامّة، وتفسير تناقضات العالَم المعاصر بعد أن شهد ثورات صناعية وديمقراطية بقدر ما تفاعل معها الناس لم تُوَصّل بينهم القيمَ العليا في التنوير والتحرير التي وعدت بها، بل هي أنتجت بدل ذلك أشكالاً من الهيمنة على العقل مثل الهيمنة التقنية، والهيمنة التكنوقراطية، والهيمنة العِرْقيّة، وهيمنة الاغتراب في العمل، وهيمنة ثقافة الاستهلاك والسعادة الوهمية، وهو ما أدّى إلى إحباط العقل الحديث، وظهور حاجته الملحاحة إلى نقد نتّاجاته المادية والمعنوية، واستحداث أخرى مناسبة لمعيش الناس. وهذا ما انعقد عليه الجهد الفكري لباحثي مدرسة فرنكفورت.

وفي هذا المنحى، وضمن سياق الوضع الاجتماعي والسياسي المشحون الذي شهدته ألمانيا، ومعها أوروبا، بعد الحرب العالمية الأولى، وخاصة مع تنامي المدّ الفاشيّ، ظهر مصطلح "النظرية النقدية"، وقد صاغه ماكس هوركهايمر في مقال له نُشر عام 1937 بعنوان "النظرية التقليدية والنظرية النقدية" (يعني بالنظرية التقليدية نظرية ديكارت من حيث تمجيدُها للعقلانية الأداتية، وتغليبُها المفهومات على الموضوعات)، وكان هوركهايمر في ذاك الوقت يعيش في منفاه الأمريكي الذي مكّنه من ملاحظة معايب المجتمع الرأسمالي، وكان معه لفيفٌ من فريقه البحثي بمعهد البحث الاجتماعي الذي كان يرأسه في فرانكفورت منذ 1931، وذلك بعد أن طردهم النازيون من ألمانيا (عاد هوركهايمر إلى رئاسة المعهد عام 1950 بعد اندحار النازية). لقد ساعد إنشاءُ معهد البحث الاجتماعي في فرنكفورت على استقطاب مجموعة من المفكّرين من مختلف مجالات العلوم الاجتماعية وتحفيزهم على تطوير تأملاتهم الفكرية لنقد الطريقة التي تَبْني بها السلطةُ العلاقات الاجتماعية وتحكم بها الإنتاج الثقافي. وبذلك بدأ التفكير الفلسفي يتخلّى عن مثاليته، وراحت تمتزج فيه الرؤى السياسية ذات النَّزوع الماركسي بالعلوم الصحيحة والبحوث التجريبية في مجالات الاجتماع والتحليل النفسي والإنتاج الفكري والثقافي، وذلك بُغية توفير رؤى لا تكتفي بوصف المجتمع الرأسمالي وتحليله وإنما تعمل على

نقده، وتجلّت أغلب عناصر هذا الفكر فيما بعدُ، ضمن كتاب "جدل التنوير" الذي أصدره كل من هوركهايمر وآدورنو سنة 1944.

اتجاهات النظريّة النقديّة:

البيّنُ في تاريخ النظرية النقدية هو أنها شهدت تحوّلات في اتجاهها الفلسفيّ وَفْقًا للسياقات الفكرية لكل جيل من أجيال الباحثين الذين انتموا إليها وعملوا في صُلبها. وقد حدّد الباحث ثلاثة أجيال من هؤلاء المُنَظّرين أسّسوا اتجاهات فكريةً ثلاثةً كان لها، وما يزال، صدى عالميّ. وصورةُ ذلك كالآتي:

الجيل الأول: مشروع هوركهايمر: الماركسية متعددة التخصصات والفلسفة الاجتماعية:

يذهب الباحث "جون مارك دوران غاسلان" إلى اعتبار أن أشهَرَ مُفكّري الجيل الأول للنظرية النقدية هم ماكس هوركهايمر، وتيودور آدورنو، وهربرت ماركوزه، وفالتر بنيامين، وقد كانت لهم بمعهد البحث الاجتماعي مكانة متميّزة، حيث أثّروا نتاجَه التنظيريَّ وأثّروا في توجّهاته الفكرية، فجعلوها تنصرف عن المنحى الاقتصادي البَحْت، وتميل صوب مناحٍ أخرى ثقافية، وموسيقية، وأدبية، ونفسية.

وكانت الغاية من وراء ذلك هي خلق مجتمع المواطنين الأحرار، والحقيقة التي يؤكّدها هذا الباحث هي أنّ فلسفة هذا الجيل كانت قد تغذّت بآراء جَمْعٍ من الفلاسفة والمفكّرين أمثالُ كارل غرينبرغ- المتخصّص في تاريخ الحركة العُمّالية، وأوّل مدير لمعهد البحث الاجتماعي، وماكس فيبر وجورج لوكاتش في السعي إلى تعرية أخطار العَلْمنة والعَقْلنة اللتيْن تتخفّى وراءهما شرور الرأسمالية، والدعوة إلى خلق توليفة بين الماركسية والرومنطيقية والمسيحية لتجاوز ثقافة العقل الأداتيّ التي تفشّت في أغلب دول أوروبا، ومن ثمة تكون تلك التوليفةُ السبيلَ إلى الحدّ من تسليع جهد الإنسان واغترابه عن ذاته. هذا، إضافة إلى الباحثيْن في مجال الاقتصاد السياسي فريدريك بولوك وهنريك غروسمان اللذيْن يدعوان إلى أن تكون البروليتاريا الموضوع الرئيس للتاريخ، ويقولان إنّ الجمع بين النظرية والتطبيق في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية أمرٌ تُحتّمه وقائع المعيش. ولا تُنْسى في هذا الشأن طروحاتُ روزا لكسمبورغ الثورية، المحاربة للنَّزْوعَات القومية التي تعتبرها حيلةً بورجوازيةً لإضعاف رغبة العمّال في التحرّر.

الجيل الثاني: من دراسة الرأي السياسي إلى نظرية الفضاء العام السياسي:

ظهر هذا الجيل مع تسلّم جيل جديد كرسيّ علم الاجتماع والفلسفة بمعهد البحث الاجتماعي خلفًا لهُوركهايمر، ومن أشهر مفكّريه، إلى جانب هابرماس، كارل أوتو آبّل، وكارل لفيت. يذهب هذا الجيل إلى القول إن عبارتيّ "القفص الحديدي" لماكس فيبر و"قلق في الحضارة" لفرويد، إنما هما معًا تعبير عمّا آلت إليه أوضاع شعوب أوروبا تحت لافتة الرأسمالية وثقافتها الحسابيّة التي ساهمت في كارثة الحرب العالمية الثانية. ولئن مثّلت نهاية هذه الحرب بالنسبة إلى هوركهايمر وآدورنو وماركوزه، اندحارًا للسياسة النازية والفاشية في أوروبا، فهي بالنسبة إلى الجيل الثاني صورةٌ عن هزيمة الفاشية من جهة، ودليلٌ على إعادة تثمينٍ تاريخيٍّ لفكرة الديمقراطية من جهة ثانية. وعليه، فقد دعا إلى الانتقال من دراسة الرأي السياسي إلى البحث عن نظرية للفضاء العمومي السياسي، وهذا ما مثّل أهمّ برنامج فكريّ اشتغل عليه وعُرِف به.

إنّ ما انكشف من أعطاب الرأسمالية، وما كشفته ممارسةُ ستالين الشمولية للسلطة وتغييبه الجمهورَ عن الفعل السياسي والثقافي، أمورٌ جعلت هذا الجيل الثاني في المدرسة يرى أنّ المشاركة الواسعة والنشطة للمواطنين في المجال العمومي، وضمن إيتيقا تواصلية تقوم على قيم الصدق والمناقشة واحترام الرأي المخالف والبرهنة والإقناع، هي وحدها التي تُمكّن من درء مخاطر الثقافة السلطوية والتكنوقراطية، سواء أكان ذلك في النظام الرأسمالي أم في النظام الاشتراكي، وتُساهم في جعل الديمقراطية تعيش خارج المؤسسات البرلمانية الأوروبية التي تم إفراغها من أدوارها جزئيًا. ذلك أن الفضاء العموميّ هو مفتاح كلّ فعل ديمقراطي.

الجيل الثالث: تجديد النظرية النقدية انطلاقاً من الحركات الاجتماعية:

مثلما كان اندحار النازية والفاشية عام 1945 سببا "للتحول الفكري للجيليْن الأول والثاني من النظرية النقدية، فإن ثورة الطلاّب بفرنسا عام 1968، وما حققته من حريات فردية وتشريعات حقوقية، مثلت فاصلًا كبيرًا بين الجيل الثاني وجيل أكسل هونيت الذي عُيِّن مديرا لمعهد البحث الاجتماعي عام 2001. فقد حرص هونيت صحبة فريق عمله بالمعهد وأشهرهم هارتموت روزا، على إعادة صياغة النظرية النقدية للفضاء العموميّ ومشكل التواصل من زاوية نظر مختلفة عمّا تأسست عليه عند أبلّ و زملائه، وعمادُ تلك الصياغة هو ردّ الاعتبار للعوامل النفسية والأخلاقية التي تؤثّر في ديناميات النضال الاجتماعيّ، وتحكم علائق الفرد بجسده، وبعائلته، وبعاطفته، وحتى بانتمائه السياسيّ. إنها باختصار إعادة النّظر في النشاط الاجتماعي انطلاقا ممّا فيه من مواجهات بين أبعاده العاطفية والجسدية والرمزية، دونما اختزاله إلى صراعات المصالح الشخصية أو الفئوية أو ردِّه، كما شدّد على ذلك هابرماس، إلى المنافسة الحجاجيّة لنماذج العدالة في فضاء عمومي مهيمن بمعاييره العقلانية. وقد ظلّت تلك المعاييرُ ضيقةَ النطاق الإجرائيّ رغم ظهور وسائل التواصل الاجتماعي بكل فُتوحاتها الرقمية.

وضمن إعادة صياغة النظرية النقدية للفضاء العموميّ لم يعتبر هونيت العملَ نشاطًا فعالًا واستراتيجيًا فحسبُ، وإنما هو أيضًا فضاء للتعبير عن الذات بكل خوالجها المادية والمعنوية، وهو بُعدٌ حياتيّ وأخلاقي لا يمكن للمرء أن

يتناسـاه، مثلما تناساه أسـتاذه. إذا أراد المفكـر أن يفهـم أزمة المجتمع المعاصر. وفـي هـذا الشـأن يُشـير هونيـت إلى أن الأخـلاق الاجتمـاعية للمجموعات المضطهَدة لا تتضمّن تمثيلات مجـرَّدة لنظـام أخلاقي عامّ وفضفاض، ولا إسـقاطاتٍ لمجتمع طوبـاويّ، وإنمـا هـي ردّاتُ فعـل جماعيـة متزايـدة ضدّ الحـركات الرافضـة لكل المطالبـات الأخلاقية المشروعة والممكنة.

النظريـــة النقديـــة والفلســـفة الفرنســـية:

ما يميّز كتاب "النظرية النقدية" للباحث "جون-مارك دوران غاسلان" أمور ثلاثة: أولها اتكاؤه على مراجع قوية ومتنوّعة في تتبع الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي مثّلت الإرهاصات الأولى لظهور النظرية النقدية. وثاني الأمور سعيُه إلى كشف حدود التباين الفكري بين الأجيال الممثلة لهذه النظرية، مع الحرص على إيجاد الخيط الناظم للفلسفة العامة لهذه النظرية على مدى أجيالها الثلاثة. وثالث مزايا هذا العمل البحثيّ هو ثقافة الباحث الفلسفية التي استثمرها في التعليق على أفكار فلاسفة مدرسة فرانكفورت، بل ونقدها.

وإذا كان ثمة ما يمكن أن يُنقَد به هذا العمل فهو وقوعه في فخّ تمجيد الفلسـفة والفكر الفرنسـيّيْن، وهذا أمرٌ شـائع في كتابات كثيـر مـن المفكرين الفرنسيين الجدد. لكأنّ ما تعيشـه فرنسا اليوم، أو ما يبدو أنها تعيشـه، مـن ترهّـل فكـري وفنـي واجتماعـي وسياسـي هـو مـا حفّـز كُتّابَهـا على الزعـم أن للثقافة والفكر فـي فرنسـا أسـبقيّةً وتأثيـرًا في كل نشاط ثقافي وعلمي في أوروبا. فهو يرى مثلاً أن ثورة مايو 1968 وما تلاها من حقـوق فرديـة كانت عنصـرا "من العناصر التي نهضت عليها فلسـفة هونيت، وأنّ هابرماس حسب أنه قد اقتبس مفهوم اللغة المقدّسة من إيميـل دوركهايـم وعاد إليـه في كثير مـن كتبه. ولم ينس أيضًا تأكيده أن للتنويريـين الفرنسـيين القدامى والمحدثيـن أمثـال بـارون هولبـاخ، وكلود أدريـان هيلفيتيوس، وجوليان دو لا ميتـري، وميشـيل فوكـو، تأثيراً قويـاً فـي "أفـكار أكسـيل هونيـت وفريقه بمعهد البحث الاجتماعي.

إضافة إلى قنوات التواصل الاجتماعي وأرقام الجامعة الرسمية، يمكنكم التواصل معنا عبر "الخوارزمي": المجيب الذكي لجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

In addition to its social media channels and official university telephone numbers, you can contact us through the official smart app of the Mohamed Bin Zayed University for Humanities: "Al-Khwarizmi"

مائة حكاية وحكاية من القصص الشرقي

وتأثيرها في التقليد الشفهي الغربي

101 Middle Eastern Tales

and Their Impact on Western Oral Tradition

Ulrich Marzolph

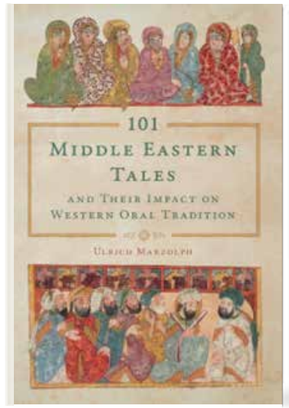

قراءة بلال الأرفه لي
أستاذ كرسي الشيخ زايد للدراسات العربية والإسلامية
الجامعة الأميركية في بيروت

"الشـرق" في الثقافـات الأوروبّيّة هو "الآخـر"، مصـدر الفضـول والإلهـام اللامتناهـي، لكنّـه فـي الوقـت عينـه يسـاهم فـي تحديـد الصـورة الذاتيّة الأوروبّيّة ويعيد تأكيدها. ولا شكّ أنّ تضميـن "الشـرق" وأراضيـه فـي السـرديّات المختلفـة، كمـا نـرى في ملاحـم الإسـكندر، يمثّـل المـوقف الأوروبّـيّ المتناقض تجاه "الشـرق". وقد أدّى ظهور الإسلام لاحقًا، مع ما تبعه من تبـادلات ثقافيّة بين العالم الإسـلاميّ وأوروبّـا المسـيحيّة، إلى تحـوّل الحكايـات إلـى جزء مهـمّ من التجارة الفكريّة بين الشرق والغرب. نُقلت الحكايات "الشرقيّة" إلى الغرب من خـلال مجموعات مختلفـة، بدايةً باللاتينيّـة ولاحقًـا باللغـات العامّـيّة الأوروبّيّـة. ومـن بيـن هـــذه المجموعـات، تبـرز "كليلـة ودمنـة"، وهـي تكييـف عربـيّ للـ "بانشـاتنترا" السنسـكريتيّة؛ والـ "سـندبادنامه" الفارسـيّة، التي كُيّفت فـي "Historia septem sapientum" في الغرب؛ و"ديسـيبلينا كليريكاليـس" مـن إسـبانيا الوسـيطة. كما أثّرت ترجمة أنطوان جالاند الفرنسـيّة لـ "ألف ليلة وليلـة" بشـكل كبيـر على الإدراك الغربـيّ للشرق، وساهمت في ظهور الاستشـراق. تسـرّبت حكايـات من التراث الإسلاميّ إلى الثقافة الغربيّة مـن خـلال قنـوات مختلفـة، بما في ذلـك المقالات العلميّـة، والعظات، والحكايا المسلّية والتعليميّة، وأدب النهضة، ووسـائل الإعـلام الحديثة. وامتدّت هذه السرديّات جغرافيًّا عبر أوروبّـا والأمريكتيـن، وزمنيًّـا عـبر الألفيّة الميلاديّة الثانية.

فـي عملـه المرجعـيّ الجديـد، مائـة حكاية وحكاية من الشـرق الأوسـط وأثرهـا في التـراث الشـفهيّ الغربيّ (Middle Eastern Tales and 101 Their Impact on Western Oral Tradition)، يدعـو أولريش مارزولف قـرّاءه للنظـر إلـى قضيّـة تبـادل الحكايـات أبعـدَ مـن مجـرّد كونها مصادفـات. يتتبّع مارزولـف حكاياتٍ يعودُ تاريخُ تأليفها إلى القرن العاشر الميـلاديّ تقريبًا، وينظر في أسـاطير ذات أصـولٍ عربيّـة وفارسـيّة وتركيّة-عثمانيّـة، فيُظهـر أثرها على امتـداد التـراث الغربـيّ فـي أوروبّـا والأمريكتيـن. يتفحّـص مارزولـف التغيّـر الذي طـرأ على هذه القصص في كلّ مرّة يُعاد سـردها في اللغات والثقافـات المختلفـة وصـولًا إلـى الزمـن الحديـث، ممّـا يمكّننـا مـن ملاحظـة التطـوّر الـذي طـرأ على السـرد إلـى جانـب التغيّـرات والانزياحات الدلاليّة والثقافيّة.

إنّ التصـدّي لمتونٍ نصّيّـة تمتدّ على مسـاحةٍ كبيرة من العالم وعلى مدى أكثـر مـن ألـف عـام ليـس بالأمـر السـهل، إذ يتطلّـب شـمولًا ودقّـة منهجيّة. ولذلك يحدّد مارزولف عددًا من المعايير التي تسوّغ اختياراته من محيـط الحكايـات الشاسـع الـذي تغـرف منـه مجموعتُـه الثمينـة.

المعيـار الأوّل هو أن تكـون "الحكاية راجعـةً إلـى أصـلٍ شـرقيّ أو، علـى الأقلّ، نَقَلتها مصادرُ شـرقيّة" (ص. 2). على هذا الأسـاس، يسـتثني من مجموعتـه الحكايـات التي لها أصول واضحـة فـي العصـور القديمـة اليونانيّـة والرومانيّـة وجـرى تناقلها خـلال النهضة الأوروبّيّة. ويُشـير إلى أنّ تناقُـلَ هـذه الحكايـات في الغرب لـم يكـن مَدينًـا، فـي أغلـب الأحيـان، للتـراث القصصـيّ الشـرقيّ والإسلاميّ.

أمّا المعيار الثاني الذي قد يبدو أكثر صرامةً من الأوّل، فهو أن تكون الحكاية موثّقةً "في التراث الشفهيّ المتأخّر في الغرب،" أي في القرنين التاسع عشرَ والعشرين. يخصّص مارزولف لكلّ حكاية من الحكايات الحادية والمائة تحليلًا شاملًا يتتبّعُ ظهورها في التراث الشفهيّ الأوروبّيّ ويُرجعهـا إلى المصـــادر الشرق-أوسطيّة. وللكتاب جوانبُ متعدّدة يستحسنها دارسو الفولكلور، من بينها أنّه يورد كلّ حكاية مُرفقةً برقمها في مَسرد آرنه - تومبســون - أوتــر (Aarne-Thompson - Uther - Index، الذي يُختصر بـATU)، ويناقشها في ضوء ما وصلت إليه دراساتُ الفولكلور التي يُغنيها مارزولف، في كلّ مرّة، بإضافاتٍ جديدة.

تقـوم المقدّمـة بتهيئـة القـارئ لاستكشـاف الكتـاب عـن طريـق اسـتعراض تأثيـر الحكايـات علـى التـراث الشـفهيّ الغربـيّ، وإنشـاء إطـار لفهـم نطـاق نقل السـرد من الشرق الأوسط إلى الغرب وأهمّيّته. ويؤكّـد مارزولف أنّ جميع الـحكايات التـي يناقشـها هـي مجـرّد مجموعة

صغيرة، ولكنّها تمثّل ظاهرة واسعة للتبادل الثقافيّ وانتشار التقاليد السرديّة. وتفصّل المقدّمة المقاربةَ العلميّة المنهجيّة للحكايات، مع التأكيد على أهمّيّة السرديّات "الشرقيّة" في التراث الشفهيّ الغربيّ. يُستخدم مصطلح "الشرق" للدلالة على منطقة جغرافيّة واسعة تمتدّ من شمال أفريقيا وشبه الجزيرة الإيبيريّة، عبر البلقان، إلى الشرق الأوسط. وفي هذا السياق، يشمل الشرق الأوسط الأراضي التي كانت تحت الحكم الإسلاميّ لقرون وساهمت بشكل كبير في التبادل الثقافيّ للحكايات.

يعترف مارزولف في المقدّمة بقصور مشروعه واقتصار مناقشته على الحكايات الفرديّة؛ إذ غالبًا ما يستحيل الجزم بأنّ نسخةً محدّدة من الحكايات "الشرقيّة" لها تأثير مباشر على النسخة السائدة في التقاليد الشفويّة الغربيّة. ومردّ جزء من ذلك، كما يشرح مارزولف، إلى قلّة البحوث حول الحكايات "الشرقيّة"، واحتمال تحديد مصادر إضافيّة في المستقبل؛ ولهذا السبب يفضّل عدم الخوض في تخمينات حول "التكيّفات المباشرة". تشير النسخ المختلفة من الحكايات، سواء أطلقنا عليها، كما يفعل مارزولف، تكيّفات أم استحواذات، إلى كيفيّة تغيّر السياقات والشخصيّات والأحداث ليس عبر الجغرافيا الشرق -أوسطيّة والأوروبيّة فحسب، بل أيضًا عبر التقاليد الإسلاميّة واليهوديّة والمسيحيّة (الإبراهيميّة).

تناول المؤلّف أيضًا المشهد البحثيّ المعاصر، مُناقِشًا دراسة الحكايات التي اختارها والمصطلحات والأطر المختلفة المستخدمة لتصنيفها. ويجادل مارزولف بأهمّيّة الاعتراف بالجذور "الشرقيّة" للعديد من الحكايات التي أصبحت عناصر أساسيّة في ثقافة السرد الغربيّة، مسلّطًا الضوء على الترابط بين تقاليد القصص العالميّة.

يساهم عمل مارزولف في فهمٍ أكثر تعقيدًا للتراث الثقافيّ وديناميكيّات السرد عبر الثقافات المختلفة، من خلال تسليط الضوء على التراث "الشرقيّ" الغنيّ ضمن التراث السرديّ الغربيّ. ويتحدّى الكتاب القرّاء لإعادة النظر في أصول القصص وتأثيراتها، لأنّها غالبًا ما يُنظر إليها على أنّها غربيّة بحتة.

وإلى جانب العلاقات التي ينسجها بين اللغات والثقافات والأزمنة، يضمّن مارزولف كلّ فصلٍ من كتابه دروسًا منهجيّة في دراسة القَصَص الشعبيّ بشكلٍ عامّ، جاعلًا من الكتاب أيضًا مجموعةً من مائة دراسةٍ ودراسة عينيّة في حقل القصص الشعبيّ. وفي حين تُرسي المقدّمة معاييرَ عامّةً لأهمّيّة الكتاب، يشكّل كلُّ فصلٍ من فصوله دليلًا منهجيًّا في تتبُّع الطُّرق المتعدّدة والمتعرّجة التي تسافرُ عبرها الموضوعات الأدبيّة. ويتضمّن الكتاب فهرسًا للأعلام والموتيفات في نهايته، بالإضافة إلى قائمة المصادر، وهي إعادة ترتيب أبجديّ للمصادر نفسها المذكورة في الهوامش النهائيّة لكلّ فصل.

تقوم دراسة مارزولف على مجموعة متنوّعة من المصادر باللغات العربيّة والفارسيّة والتركيّة -العثمانيّة، وتشمل طيفًا غنيًّا من الأدب العربيّ في عصوره الثلاث: العصر الكلاسيكيّ من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر، والعصر الوسيط الذي يشمل عهد المماليك والعثمانيّين، والعصر الحديث الذي يبدأ من أواخر القرن الثامن عشر. تغوص هذه الدراسة عميقًا في مفهوم الأدب الذي أدّى دورًا مهمًّا في تشكيل السرديّات في هذه الثقافات. بدأ مفهوم الأدب بمعنى "السلوك اللائق"، ثمّ تطوّر إلى نوع أدبيّ يهدف إلى التعليم والتسلية معًا، باستخدام السرديّات لدعم الحجج. ومن بين المؤثّرين الأوائل في الأدب، يبرز عمرو بن بحر الجاحظ بأعماله الرائدة مثل "كتاب الحيوان" و"البخلاء". وتشمل الأعمال البارزة الأخرى "عيون الأخبار" لأبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ و"العقد الفريد" لابن عبد ربّه. تستكشف الدراسة أيضًا مجموعة من الأنواع الأدبيّة الفرعيّة والمصنّفات الثيماتيّة التي تعكس الغنى الثقافيّ والتنوّع في العالم الإسلاميّ.

تمتدّ أبحاث مارزولف إلى مصادر العصر الوسيط مثل "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب النويريّ و"المستطرف في كلّ فنٍّ مستظرف" للإبشيهيّ، مسلّطةً الضوء على التطوّر المستمرّ وثراء السرديّات الشرق-أوسطيّة. يظهر تأثير الأدب الفارسيّ بوضوح مع أعمال أساسيّة مثل 'سندبادنامه' وتكييفات للحكايات السنسكريتيّة الهنديّة مثل 'شوكاسابتاتي'. كما تؤدّي الأدبيّات التركيّة-العثمانيّة دورًا مهمًّا في نقل السرديّات من أصول فارسيّة وعربيّة. تعترف الدراسة بالتأثير الهائل لـ "ألف ليلة وليلة" في التقليد الغربيّ، وتعكس هذه المجموعة، إلى جانب مصادر فارسيّة وهنديّة أخرى، ترابطًا عميقًا بين التقاليد السرديّة الشرقيّة والغربيّة، وتشمل مجموعة واسعة من الموضوعات كالأخلاق والفكاهة وعجائب الخيال.

وإذا كان مارزولف يعبّر عن إعجابه بالعُرف اللغويّ في العربيّة الذي يجعل من الرقمَين 101 و1001 رمزَين للّامتناهي الذي لا ينضب، فإنّه ينجح كذلك في الحفاظ على السحر الغامض الذي يميّز الحكايات نفسها. وبذلك تصبح مجموعتُه بستانًا متشعّبَ الطُّرُق مليئًا بالمباهج المفاجئة. تضع هذه المميّزات كتاب مارزولف في مصافّ أبرز الأعمال المرجعيّة التي تعرّف القارئ بمجالات جديدة للبحث والتحقيق واكتشاف علاقات منسيّة. هذا الكتاب الموسوعيّ هو ثمرة عمرٍ من البحث المكرّس لحقل القصص الشعبيّ المقارن، وهو بمثابة كنزٍ من المصادر والمناهج والمنظورات والرؤى التي قد يفيد منها القرّاء والباحثون المهتمّون بالدراسة الزمنيّة لحكاية عبر لغات وثقافات وجغرافيّات مختلفة، ويمكن أيضًا أن تشرّع الباب أمام أبحاث مستقبليّة. بتعبير أشمل،

يُمكن القول إنّ كلّ مقالةٍ من مقالات الكتاب لا تنجح فقط في تحديد الجوانب التي يدينُ بها الغرب للعالم الإسلاميّ، ولكنّها تدلّنا على أمرٍ أكثر أهمّيّة يتمثّل بـ"الجوانب المشتركة" التي يلتقي فيها الغرب مع التراث الإسلاميّ. أمّا في ما يتعلّق بالمنظور التعليميّ، فبإمكان المدرّسين الاستعانة بمثالٍ واحد من الأمثلة الكثيرة التي تتضمّنها دراساتُ الكتاب عن انتقال الموضوعات من الشرق إلى الغرب ليدلّلوا على فشل الدراسات التي تلتزم بالحدود القوميّة. بنطاقه الموسوعيّ، ولمحاته التاريخيّة عن تطوّر الحكايات، ومكتبته المثيرة للاهتمام، يشكّل كتاب "مائة حكاية وحكاية من الشرق الأوسط" قراءة مثيرة لعشّاق الأدب العالميّ ولأيّ قارئ فضوليّ يرغب في استكشاف متاهات الثقافة الشفويّة العالميّة.

التعايش وتقبل الآخر

تحرص الجامعة على تعزيز قيم التعايش وتقبل الآخر وتعتمد هذا الحديث كجدارية جمالية في جميع أفرعها، ويتم تنفيذها بما يتناسب مع طبيعة المبنى

تطبع على لوحة أكليريك بمقاس 200 في 80 سم

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد..

كلكم من آدم وآدم من تراب

..وأكرمكم عند الله اتقاكم

ثورة الجيل الرابع للتعليم الإلكتروني:
النُهُج التحويلية لتدريس اللسانيات وتعلمها وتقييمها وتهيئة الحرم الجامعي

Education 4.0 Revolution:
Transformative Approaches to Language Teaching and Learning, Assessment, and Campus Design

Kate Borthwick and Alessia Plutino

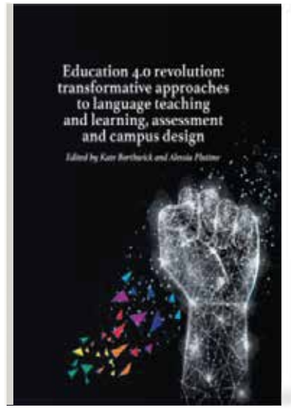

قراءة فوزي الغزالي
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يغطي الكتاب عدداً من النُهُج التحويلية التي تناولها الباحثون في مؤتمر التعليم الإلكتروني الذي أقيم في جامعة ساوثهامبتون في 24 يناير 2020. ومن أبرز ماجاء في الكتاب كيفية تحويل مسارات التعليم التقليدية لبيئة تفاعلية متعددة الألسن، وكيف يمكن الاستفادة من المساحات الافتراضية الضخمة المتاحة للجميع على الشبكة العنكبوتية وكذلك التطبيقات الإلكترونية الأخرى في تعزيز استقلالية متعلم اللسانيات الأجنبية. كما يعرض الكتاب لكيفية تأسيس مراكز التعلم الذاتي في المؤسسات الجامعية والتي تعتمد مبدأ التفاعلية اللسانية بين المتحدثين، هذا بالإضافة لعرض نماذج من التجارب العالمية في توظيف الجيل الرابع من الثورة الرقمية في تعلم اللسانيات الأجنبية.

ملخص الكتاب:

يُؤطر محررا هذا الكتاب (كيت بورثويك وأليسا بلوتينو) لنهج تحويلي تعليمي تعلمي أصيل طالما نادى به علماء التربية واللسانيات والذي يعتمد ابتداءً على تعزيز استقلالية المتعلم ودوره في تنمية مدخلاته اللغوية وتنويع مصادرها بغية تحسين الاكتساب اللساني كماً وكيفاً. ويؤسس هذا الكتاب أطروحته على مبدأين رئيسيين: أولهما نظريات اللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية التي ترى أن اللغة بنت البيئة، وأن نتاجها مرهون بالسلامة الفسيولوجية والنفسية والعقلية للفرد وكذا درجة اندماجه في المجتمع اللساني الذي يعيش فيه. وثانيهما ماحدث في العقدين الأخيرين من طفرة تقنية توفرت وسائطها وتنوعت أدواتها لتجعل من عملية اكتساب اللسان الأجنبي وتعزيز مهاراته أمراً ميسوراً، وأن المعلم لم يعد المصدر الوحيد للمعرفة بقدر ماهو أحد روافدها والمشرف على صحة بنائها. وفي هذا يقدم محررا الكتاب أطروحتهما على أساس الاستفادة من ثورة الجيل الرابع المعرفية والرقمية في تحسين أساليب تعليم وتعلم اللسانيات الأجنبية، وكيفية تقييمها، وكذلك تهيئة الحرم الجامعي ليصبح بيئة تفاعلية تمكن الدارسين من ممارسة المكتسبات اللسانية في مواقف اجتماعية تماثل نظيراتها في المجتمع الخارجي.

يغطي الكتاب عددا من النُهج التحويلية التي تناولها الباحثون في مؤتمر التعلم الإلكتروني الذي أقيم في جامعة ساوثهامبتون في 24 يناير 2020. ومن أبرز ماجاء في الكتاب كيفية تحويل مسارات التعليم التقليدية لبيئة تفاعلية متعددة الألسن، وكيف يمكن الاستفادة من المساحات الافتراضية الضخمة المتاحة للجميع على الشبكة العنكبوتية وكذلك التطبيقات الإلكترونية الأخرى في تعزيز استقلالية متعلم اللسانيات الأجنبية. كما يعرض الكتاب لكيفية تأسيس مراكز التعلم الذاتي في المؤسسات الجامعية والتي تعتمد مبدأ التفاعلية اللسانية بين المتحدثين، هذا بالإضافة لعرض نماذج من التجارب العالمية في توظيف الجيل الرابع من الثورة الرقمية في تعلم اللسانيات الأجنبية.

يتميز هذا العمل باعتماد المحررين على نتائج أبحاث عديدة تعكس عددا من التصورات والرؤى المستقبلية حول أتمتة التعليم ودمج وسائل التقنية الحديثة في تعلم اللسانيات بصفة خاصة لسببين: أولهما أن اعتماد الجيل الحالي على التقنية الحديثة في ممارساتهم الحياتية لم يعد اختياريا، ومن ثم وجب الاستفادة من هذا التوجة ليكون أكثر نفعا وذا قيمة؛ وثانيهما أن التعلم المدمج بآلياته الرقمية الحديثة يمثل بديلا مواتيا لتعويض أي انقطاع اضطراري عن التعليم الحضوري كما حدث جراء انتشار فيروس نقص المناعة المكتسب (كوفيد 19).

ويناقش الكتاب في بداية فصوله مسارات التحول من النَهج التقليدي في تعلم اللسانيات الأجنبية إلى نُهج حديثة تقوم على تأسيس مايسمى بمراكز التعلم الذاتي (SAC) لتعزيز التفاعل اللساني بين الأقران في بيئة تغلب عليها التعددية اللسانية، وذلك من خلال تصميم مساحات تعليمية ابتكارية تغلب عليها التنافسية الرقمية والتكامل المتزايد لتكنولوجيا التعليم لتنمية الرغبة في التعلم الذاتي والمستمر للسانيات الأجنبية. ويعرض الكتاب نموذجاً لهذا النهج التحويلي الذي أشرف على تصميمه في جامعة نوتنجهام الباحثان سيسيليا جوريا وليا جويتا حيث قاما بتزويد مركز اللغات بمصادر رقمية تشمل كتباً وقصصاً ومعاجم رقمية وأجهزة حاسوبية ومقاعد مريحة تسهل عملية تعلم اللغة بصورة تواصلية تفاعلية. ويرى الباحثان أنه كلما انخفضت درجة التوتر والخوف من استخدام اللسان الأجنبي لدى الدارسين، كلما زادت طلاقتهم اللسانية وعزز ذلك من قدرتهم على تنمية مهاراتهم الشفهية والكتابية في سياقات حوارية متباينة.

ويعرض الكتاب لنهج تحويلي جديد قامت به الباحثة لورا كابيتاني في جامعة ماسترخت في هولندا والتي عمدت إلى تطوير مركز اللسانيات في الجامعة معتمدةً على الشبكة العنكبوتية والتطبيقات الإلكترونية مثل برامج بابل وكويزلت (Babbel / Quizlet) بصورة كاملة. حيث قامت باعتماد منهجين تحويليين يقومان على مبدأ التعلم بطريقة الفصل المقلوب وحل المشكلات، وفيه يقوم الدارسون بالتفاعل والتواصل التام فيما بينهم عن طريق الغرف التفاعلية التي أعدتها الباحثة على برنامج بابل، وكذلك تسجيل مشاركاتهم عبر برنامج سكايب حتى يتسنى لزملائهم التعليق على مشاركات بعضهم البعض. وأوضح الكتاب أن هذا النهج التحويلي للتعلم المرن قد أسهم في زيادة عدد الدارسين وزيادة مكتسباتهم من اللغة الإيطالية بصورة كبيرة.

كما يتناول الكتاب النهج التحويلي المختلف الذي قامت به الباحثة كارلا دي ليما جوديس في المملكة المتحدة والتي ارتأت أن دمج منصات التعلم الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية والمتاح الوصول إليها (MOOCs) مع التعليم التقليدي للسانيات الأجنبية في الجامعات البريطانية يعزز فرص الاندماج في مجتمعات لسانية كبيرة ولزيادة الحوار بين الدارسين بعضهم البعض في سياقات اجتماعية مختلفة. وهذا النهج أكد عليه عالم اللسانيات الأمريكي ستفين كراشن (Stephen Krashen) والذي أسس لنظرية "فرضية المراقبة" (Monitor Hypothesis) وكذلك عالم اللسانيات الأمريكي مايكل سوان (Michael Swain) صاحب النظرية التشاركية التفاعلية (Interactionist Approach) في تعلم اللسانيات الأجنبية. وتؤكد هاتان النظريتان على أنه كلما تعددت روافد المدخلات اللسانية وتنوعت درجاتها، بالإضافة لتعدد مجالات استخدام اللسان الأجنبي في سياقات اجتماعية مختلفة، كان ذلك سبيلا لتعزيز الحصيلة اللسانية والطلاقة الكلامية لدى المتحدثين بها. ومن هنا كان نهج هذا الكتاب في ضرورة تبني الأكاديميين واللسانيين لمجموعة متنوعة من الأساليب التي تتخذ من منصات التعلم الذاتي المفتوحة سبيلا لتعزيز استخدام الدارسين للسان الأجنبي في المحادثات البينية مع بعضهم البعض.

وسلك الكتاب مسلكاً تحويلياً تفاعلياً جديداً في عملية تقييم الأداء اللساني لمجموعة من الدارسين الأتراك الذين تعلموا الإنجليزية كلغة أجنبية باستخدام مايسمى بطريقة "تقييم الأقران"؛ وفيها يقوم كل دارس بإعداد سرد لقصص رقمية بشكل فردي ومشاركتها مع زملائه عبر إحدى منصات المناقشة عبر الشبكة العنكبوتية، ثم يقوم كل طالب بتقييم الأداء الصوتي والكتابي لزميل آخر وفق معايير تم وضعها من قبل محاضر المساق. وتعد عملية تقييم الأقران إحدي وسائل التعليم المدمج التي تجمع بين الطرق التقليدية في تقييم الأداء لدى متحدثي اللسانيات الأجنبية وبين المنهج التفاعلي التواصلي الذي يعطي كل طالب الفرصة لأن يكون معلماً منوطاً به عملية التقييم لدارسين آخرين.

وأوضح الكتاب أن هذه الممارسات التشاركية تتم جميعها عبر الوسائط الإلكترونية من خلال آلية مايسمى بالتعلم اللساني القائم على أداء المهام (TBLL). كما لفت الكتاب الانتباه لمدى فاعلية التقييم الذاتي التي يقوم بها الدارسون أنفسهم من خلال قيامهم بوضع تقييم ذاتي لهم حول مدى تحسن أدائهم في اللغة الإنجليزية. وقد بين الكتاب كذلك أن تعلم اللسان الأجنبي من خلال المهام وقياس ذلك عن طريق تقييم الأقران والتقييم الذاتي قد أسهم في تعزيز المهارات الشفهية لدى دارسي اللسان الأجنبي نظراً لاستخدامهم اللغة في مواقف حقيقية تعتمد على تمثيل الأدوار. كما ساهم ذلك أيضا في تعزيز استقلالية المتعلم وتحمله المسؤولية في تنمية مهاراته اللسانية باستخدام مصادر متعددة.

ويفترض الكتاب أن النهج التحويلي من التعلم التقليدي للسانيات لتقنية التعلم الرقمي الاجتماعي يمكن أن يستخدم كوسيلة لتعزيز ثقة الدارسين بأنفسهم والحد من الخجل الذي ينتاب البعض منهم عند استخدام اللسان الأجنبي أمام الآخرين.

وفي إطار تحويلي إضافي، يكشف الكتاب ماقامت به جامعة ساوثهامبتون في المملكة المتحدة من الاستفادة من ثورة الجيل الرابع في مجال التعليم الإلكتروني في تقديم محتوى رقمي بالكامل يخدم جميع الدارسين الذين لغتهم الأم ليست الإنجليزية، حيث قامت الجامعة بتصميم أكبر منصة إلكترونية (eLanguages) لاستخدام اللغة الإنجليزية لأغراض أكاديمية عبر الشبكة العنكبوتية والتي يسهل استخدامها ذاتياً من خلال دارسي اللغة الإنجليزية أو من خلال محاضرات التعليم المدمج. وتوفر هذه المنصة مجموعة من المصادر التعليمية المتنوعة التي تتيح مسارات تفاعلية تعزز من استخدام اللغة الإنجليزية وتنمية مهاراتها المختلفة. وأوضح الكتاب تميز هذه المنصة بتنوع مصادرها لتواكب الاهتمامات المختلفة للدارسين.

كما يسهل الوصول إليها واستخدامها بصورة تفاعلية مع مستخدمين آخرين. ويعتبر ذلك المسار نهجا تحويليا جديدا يخرج بمتعلمي اللسان الأجنبي من الأُطر التقليدية لتعلم اللسانيات إلى نُهج أخري يكون المتعلم مركزا لها.

ويعرض الكتاب في آخر فصوله نموذجًا للتجربة الصينية التي كانت تنتهج طرائق تعليمية ضاربة في أعماق التاريخ تتسم بالشمولية يكون فيها المعلم مصدر المعرفة الوحيد ويقتصر فيها دور المتعلم على الاستقبال والاسترجاع المعرفي. حيث يعرض الكتاب للتجربة التي قام بها الباحث الصيني زنج لو والذي عمل على اندماج المحتوى الإلكتروني المتوفر على الشبكة العنكبوتية مع المحتوى الورقي للدارسين الصينيين في تعلمهم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية. ومع تعود الدارسين على استخدام المحتوى الرقمي، تغيرت لديهم النظرة لمدى فاعلية هذه الطريقة، وأصبح الاعتماد منصبا على تعلم اللغة الإنجليزية من خلال المصادر التعليمية الرقمية المتاحة عبر الشبكة العنكبوتية. وكان لهذا النهج التحويلي الأثر الكبير في تنمية مهارات الدارسين من الناحية النفسية والاجتماعية نظراً لسهولة التواصل والتفاعل باللغة الإنجليزية مع زملائهم. كما أن التحسن الملحوظ في مستوى اكتساب الدارسين الصينيين للغة الإنجليزية باستخدام مصادر التعلم الرقمي عبر الشبكة العنكبوتية قد ساهم في تغيير النظرة غير المتحمسة من آبائهم الذين يؤمنون بفاعلية الطرق التقليدية في التعلم. ولكن أوضح الباحث أن هذه الرؤى والتصورات قد أخذت في التغيير تدريجيا بفضل النتائج المذهلة التي أحدثتها ثورة الجيل الرابع للتعلم الإلكتروني.

تتمثل أصالة هذا الكتاب في تبني فلسفة تعليمية تقوم على مبادئ ثلاثة: وهي التشاركية والتفاعلية والاستقلالية لمتعلمي اللسانيات الأجنبية التي لم تعد المحاضرات الوجاهية والدورات التقليدية بالنسبة لهم السبيل الوحيد لاكتسابها. لقد أتاحت ثورة الجيل الرابع للتعلم الإلكتروني الفرصة لجعل تعلم اللسان الأجنبي أكثر تفاعلية يتشارك فيها الأقران لممارسة اللغة وتقييم أداء بعضهم البعض والحصول على التغذية الراجعة من زملائهم بصورة يمكن تقبلها دون خوف أو خجل، كما أتاح هذا النهج الذي عرضه الكتاب مسارات تحويلية جديدة للتعلم الذاتي المستقل يختار فيها متعلم اللسان الأجنبي من مصادر التعلم المتوفرة على الشبكة العنكبوتية مايوافق مستواه وقدراته اللغوية واهتماماته الشخصية؛ فلم يعد تعلم اللسانيات الأجنبية حكرا على أحدٍ بعينه، أو مقصورا على مصادر محددة، وإنما فتحت الثورة الرقمية الحديثة آفاقا رحبة لتعلم اللسانيات الأجنبية خارج القيود الزمانية والمكانية.

وأكد محررا الكتاب (كيت بورثويك وأليسيا بلوتينو) ختاما على أن المحتوى الرقمي يسهم في تعزيز المهارات اللسانية المختلفة لدى المتعلمين وبصورة متكاملة، كما يعزز استقلالية المتعلم وينمي لديه القدرة على التصور والتخيل والتفاعل مع الآخرين لأنه يتيح الفرصة للوصول لمصادر التعلم بنفسه ويقيم أداءه بصورة ذاتية وفق معايير محددة. ويأمل محررا الكتاب أن يصبح دمج المصادر الرقمية المعززة والمتاح الوصول إليها على الشبكة العنكبوتية نهجا تحويلياً راسخاً في تعليم وتعلم اللسانيات الأجنبية لدعم استقلالية المتعلم وتحملة المسؤولية في تنمية مهاراته اللسانية، كما يجب تهيئة أماكن داخل الحرم الجامعي للتعلم الذاتي ولممارسة اللسان الأجنبي بتلقائية وفي أوساط تفاعلية فيما يسمى بمراكز التعلم الذاتي(SAC) أو مراكز التواصل اللساني (LCC).

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية من أولى الجامعات في الدولة التي بادرت لتفعيل منظومة التعلم الهجين تماشيا مع متطلبات التعليم المستقبلية.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities was one of the first universities in the country to activate the hybrid learning system in keeping with the latest trends in the education sector.

اختتام مشاركة الجامعة في مؤتمر الأطراف COP28

12 ديسمبر 2023

نظمت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، عددا من الجلسات العلمية خلال انعقاد مؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ "COP28"، في مركز تحسين التعليم بالمنطقة الخضراء بمقر إكسبو دبي في الفترة من 30 نوفمبر وحتى الثاني عشر من ديسمبر، وذلك ضمن جهود الجامعة ومبادراتها لتعزيز فعاليات مؤتمر المناخ الذي استضافته الدولة، لإحداث نقلة كبيرة في الجهود الدولية المبذولة للحد من التداعيات المناخية على كوكب الأرض.

نفذت الجامعة أكثر من 22 مبادرة لدعم جهود الدولة في الاستدامة ومكافحة التغير المناخي وريادة العمل البحثي في مجال العلوم الإنسانية وعلاقتها بالاستدامة.

كتب جديدة و مراجعات مقتضبة

رضوان السيد و نورالدين شوبد

نقد الرأسمالية اللبرالية
The Crisis of Democratic Capitalism

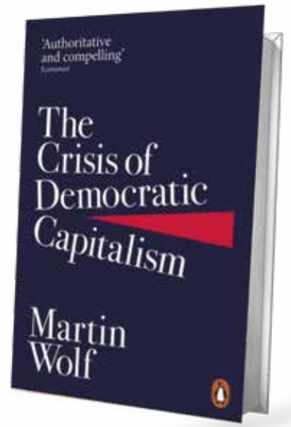

يستظهر مارتن وولف المعلّق الاقتصادي المشهور وجود ترابط بين الليبرالية السياسية ورأسمالية السوق. لكن الليبرالية تبدو وطنية بينما تبدو رأسمالية السوق عالمية. وقد كان هناك نوع من الانضباط والتوازن بين الجانبين، ما لبث أن اختلّ في الأزمات الاقتصادية المتلاحقة وبخاصة في الأزمة ما بين عامي 2008 و2011.
يسلّم وولف أنه في البداية كانت هونغ كونغ كما كانت سنغافوره استثناءً، بمعنى وجود ازدهار اقتصادي وعدم وجود ديموقراطية. لكن أُضيفت الآن ظاهرة الصعود الاقتصادي الصيني مع عدم وجود ديموقراطية. إنما الأفدح (وسبب الأزمة الآن) أنّ الاختلال طرأ على قلب الديموقراطية الليبرالية في الولايات المتحدة وأوروبا، فقد تراخى الانضباط والتوازن بين القطبين الاقتصادي والسياسي الليبرالي: تزايدت الأزمات، وضعف النمو، وصعدت أحزاب اليمين التي هي ضد الديمقراطية الليبرالية وحكم القانون.
ولذلك يرى وولف أن الأزمة تتعاظم وتمضي باتجاه صعود الديكتاتوريات، وتحتاج إعادة الترابط إلى إجراءات جذرية في الاقتصاد الرأسمالي، وهي:
- الحفاظ على مستوى العيش في مجتمعات الحكم الليبرالي.
- إيجاد فرص العمل للذين يستطيعون العمل والمستعدين للعمل بالفعل.
- تجديد مبدأ تكافؤ الفرص.
- حفظ أمن الفئات التي تحتاج لذلك.
- إنهاء التمييزات التي تحصل عليها القلة.

لقد كانت الديموقراطيات تملك القوة لإحقاق المناعة والثقة؛ لكن هل ما تزال تستطيع ذلك أو تملك إرادة الفعل؟! هذه هي الظاهرة الأخرى التي تفاقم التأزم.

الاستعمار البريطاني
Colonialism. A Moral Reckoning

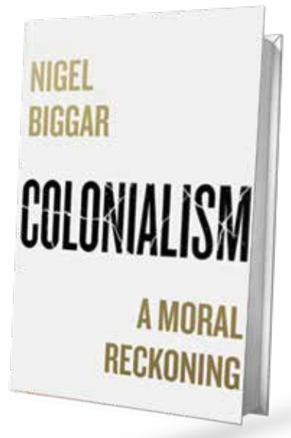

كتاب نيغل بيغار لا يستعرض تاريخ الاستعمار البريطاني وسلبياته بعد عقود طويلةٍ على نهاياته. بل يدرس تواريخ ونظريات ووقائع الحقبة الاستعمارية من وجهتي النظر: الإدانية والأخرى التي تجد لذاك الاستعمار أسباباً تخفيفية.
المعادون للاستعمار ذكروا الإبادة بعد الفتح، وذكروا العبودية والاتجار بالرقيق، وذكروا التمييز العنصري حتى بعد تحرير العبيد. فما بذلت جهود للرفع من شأن ذوي الكفاءات في المستعمرات، ولا رفعوا أعباءهم حتى بعد خروجهم من تلك البلدان. وفي إفريقيا حتى اليوم، وفي مستعمرات البحر الكاريبي براهين على ذلك، أما الذين يخففون من مسؤوليات ذلك الاستعمار فيذكرون أنه ما كانت هناك إبادات، أما تجارة الرقيق فقد كانت جارية قبل الاستعمار، وبعد الاستعمار فإن زعماء قبائل محليين شاركوا فيها. ثم هناك مفكرون وباحثون أفارقة وأسيويون ذكروا للاستعمار محاسن التحضير، وإنشاء الدول، ونشر التعليم، والزراعات الجديدة. ويخفّف بيغار من الاتهامات للاستعمار بالقول إنه لم تحدث إبادات مثل إبادة هتلر لليهود!
المشكلة أنّ بيغار وهو أستاذ سابق للاقتصاد في جامعة أوكسفورد، كما جاء في عنوان الكتاب، كان يُجري مراجعة أخلاقية! أما نيل فيرغسون المؤرخ المعروف الذي أثنى على الكتاب فقد قال إنّ أحداً لا يستطيع تجاهُلَه إذا كان يريد تكوين فكرة عن الموضوع!
أراد بيغار "تخليص" بريطانيا أو تحريرها من تاريخها الاستعماري بحيث يكون في ذلك تحرير للحاضر والمستقبل. فهل بلغ حقاً النتيجة التي كان يريد الوصول إليها؟
توفي رئيس الوزراء البريطاني المشهور وينستون تشرشل وقد كتب عدة كتب في محاسن الاستعمار البريطاني، كما أنه ظلّ ينوح على انقضاء الإمبراطورية، ولكل زمانٍ دولة ورجال!

القانون والمجتمع في الإسلام
Law and Society in Islam

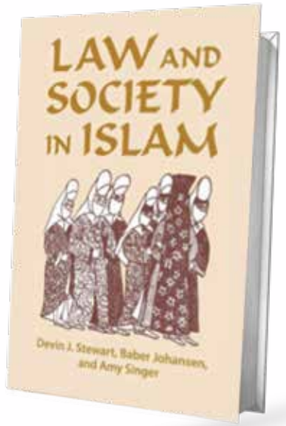

يتشكّلُ الكتاب من عدة مقالات للمؤلفين المذكورين، جاءت إحدى المقالات بعنوان: "قيمة الإنسان في الشريعة الإسلامية" للكاتب بابر جوهانسن، وأخرى بعنوان: "الزيجات والجُنح" للكاتبة لأيمي سينجر. وصدرت المقالات في كتاب واحد ضمن إصدارات قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برينستون، الطبعة الثانية 2020.
افتتح الكتاب بمقدمة للبروفسور أبراهام أودوفيتش أستاذ الحضارة اليهودية في الشرق الأدنى بجامعة برينستون، كشف من خلالها سياق جمع هذه المقالات وإعادة نشرها في كتابٍ جامع، وذلك بحسب تعبيره لأنها تتضمّن المواد القانونية لاستكشاف مجالات الحياة والفكر التي لم يتم استخدامها من قبل، ولأنها أيضاً تطرح أسئلة غير متوقعة على نوع من المواد لا نتوقع للوهلة الأولى تقديم إجابات مناسبة عنها.
مقالة الأستاذ بابر يوهانسن، وهي بعنوان: "قيمة الإنسان في الشريعة الإسلامية". تحدّث فيها عن القواعد والمبادئ التي تحكم مكانة الإنسان في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى (من القرن العاشر إلى الثاني عشر تحديداً)، من خلال استنطاق نصوص الشريعة الإسلامية، وآراء المدرسة الحنفية خاصّة، باعتبار أن هذه المدرسة كانت مهيمنة في المناطق الشرقية من العالم الإسلامي منذ القرن العاشر وما بعده، وأيضاً في المناطق الغربية من العالم الإسلامي في ظل الإمبراطورية العثمانية.
ناقش الكاتب مسألة تقييم وتثمين الفقهاء المسلمين للإنسان، في ضوء مناقشات فقهاء الحنفية بشأن الأشكال المختلفة لتداول الأشخاص والسِّلع في مجالات التبادل الاجتماعي والتبادل التجاري. في التبادل التجاري يتم تبادل السّلع مقابل السّلع أو مقابل قيمتها النقدية، وفي التبادل الاجتماعي للسّلع اعتبارات خاصة قد تختلف عن النوع التجاري. ويطلق فقهاء الحنفية على الشكل الأول مصطلح "التجارة"، بينما لم يطوروا تصنيفًا اصطلاحيًا للنوع الثاني من التبادل، فأطلق عليه الكاتب مُسمّى "التبادل الرمزي أو الاجتماعي".
انطلق الكاتب في تحليل النصوص والقواعد التي تحكم "عقود التجارة والبضائع" وفي جميع الفئات القابلة للتَّداول الواردة في الفقه الإسلامي. وقد حاول الكاتب في هذا الإطار أن يستلهم من خلال استقرائه للنصوص الفقهية فكرةً للتمييز بين قواعد التبادل التجاري وتلك الخاصة بالتبادل الاجتماعي، من قبيل: الزواج. وغرضُه من كلّ ذلك الوصول إلى بيان مكانة الإنسان في العقيدة والشريعة الإسلامية عن غيرها من الأحكام التي قد تلتبس به.
وانتهى الكاتب في نهاية دراسته إلى عدد من النتائج التي جعلها روابط لمواصلة البحث في الموضوع في القرن العشرين مقارنةً بأحكام الشريعة التي وُضعت في قوانين البلدان الإسلامية عامّةً. ومن أهمّ تلك النتائج: أن التمايز بين مجالات التداول الاجتماعي والتجاري يعتبرُ أمراً حيوياً وفاعلاً للمجتمعات المسلمة وغيرها في القرن العشرين، كما كان الحال بالنسبة للمجتمعات التي تطور فيها الفقه الحنفي القديم.
أما مقالة الكاتبة أيمي سينجر، فتحملُ عنوان "الزيجات والجُنح"، تستند المقالة في موضوعها إلى مادة شبه قانونية غير مرتبطة بنصوص الشريعة الإسلامية ولا بأقوال الفقهاء والعلماء، وإنّما تعتمدُ الوثائق التاريخية والسِّجلات الوقفية الإدارية التي ترجع إلى أواخر القرن السادس عشر في القدس، وهذه الأوقاف تتعلّق بمداخيل القُرى الزراعية المحيطة بمدينة الرَّملة إلى الغرب من القدس، بالإضافة إلى الإيرادات الزراعية التي كانت تُغطّي معظم نفقات المساجد والنُّزل والمطبخ العام لوقف القدس.
حاولت الكاتبة إبراز أن الإيرادات المذكورة كانت تشكِّلُ مصدر دخلٍ إضافي ناتج عن رسوم الزواج والغرامات والضرائب التي تُفرض على أساس عقوبات على القرويين الذين ينتهكون من وقت لآخر قواعد السلوك المدني.
من البيانات التي قدمتها الكاتبة قائمة موجودة في إسطنبول تُغطي فترة أربعة أشهر في عام 1586، استطاعت من خلالها استخلاص عدد من الإشارات والفرضيات حول جوانب تاريخية خفيّة من الحياة الريفية في ذلك الوقت، كما أنّها استطاعت تحويل المعلومات المُضمَّنة في هذه الوثيقة إلى تفسير واقعي للحياة الريفية في تلك المناطق من العالم. ومن الحقائق التي توصّلت إليها أن بيانات القوائم والوثائق المالية للامبراطورية العثمانية تشير إلى أن تحصيل الإيرادات لم يكن أحادي الاتجاه نحو إسطنبول، مع تدفق النفقات بشكل فريد في الاتجاه المعاكس. وأن تلك الإيرادات تم تجميعها وصرفها في نظام من الاقتصادات الصغيرة المترابطة من خلال سلسلة القيادة في السلطة التي وُزّعت الولاية القضائية عليها.

الشجرة التي تتوسط شعار الجامعة هي "شجرة الأديان" التي تجسد الأصل المشترك للإنسانية في جذعها والمتفرع إلى عدة أديان ومعتقدات في فروعها، فيما تمثل أوراق الغاف المحلية قيم التسامح.

The tree at the center of the university's logo is the "Tree of Religions" which embodies the common origin of humanity in its trunk while its branches represent the diversity of religions and beliefs. The Ghaf leaves symbolize the values of tolerance.

قصة الشعار

Story of the Emblem

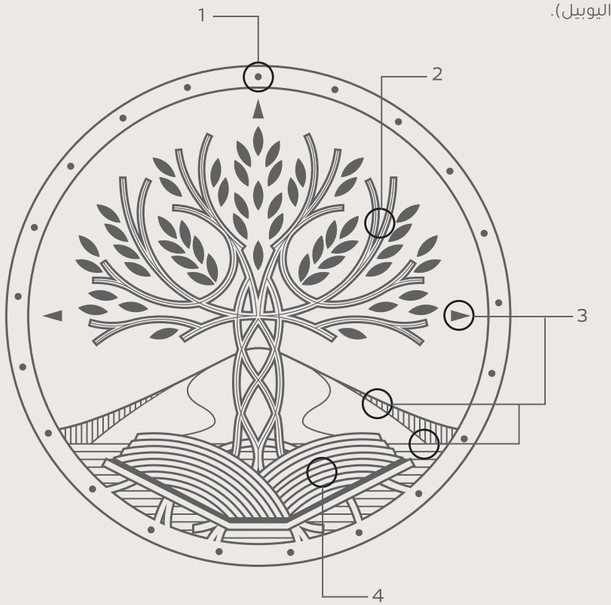

1. إطار دائري
مرصع بـ21 نقطة

المعرفة والحكمة

كلمة Phi أصل كلمة "فلسفة" (φιλοσοφία) التي تترجم إلى عبارة "تقدير للمعرفة".

يدل الرمز" أيضا على معاني التوزان (بين كلا المحورين)، مما يقودنا إلى شبكة متماثلة المحاور.

إطار دائري من 21 نقطة يرمز إلى سنة تأسيس الجامعة، (أيضا عام اليوبيل).

2. شجرة

تبادل الأفكار الأخوي

تشير الشجرة إلى تمثيل أديان العالم النابعة من جذع واحد متشابك.

أقوى ثلاثة جذور تشير إلى الأصول المشتركة بين معتقدات الأديان الإبراهيمية.

3. البحر، الصحراء
وثلاث نقاط رئيسية

الإمارة والوطن

البحر هو جزء لا يتجزأ من قصصنا

لقد شكلت الصحراء والكثبان شخصيتنا ومن نحن.

ثلاث نقاط أساسية تمثل المناطق الثلاث للإمارة - العين والظفرة وأبوظبي - في إشارة إلى المراجع الإرشادية.

4. كتاب مفتوح

التعليم هو بذرة التفاهم

الكتاب المفتوح يوضح التزامنا تجاه التعليم بوصفه وسيلة للتفاهم والتسامح.

1. Circular Frame
with 21 Dots

KNOWLEDGE
AND WISDOM

The symbol Φ also inspires graphical balance and dual symmetry (both axis), leading us to a symmetric and even grid.

A circular frame with 1 dots symbolises the establishing year of the University, 01 (also year of the UAE jubilee).

2. Tree

FRATERNAL
SHARING OF IDEAS

The Tree refers to the representation of the world religions stem ming from one same intertwined trunk.

Three stronger roots relate to the shared origins which hold the beliefs of the Abrahamic religions.

3. The Sea, The Desert and
The Three Cardinal Points

THE EMIRATE
AND THE NATION

The sea is embedded in our stories and has shaped our character and who we are.

Three cardinal points represent the 3 regions of the Emirate — Al Ain, Al Dhafra, Abu Dhabi — in an allusion to guiding references.

4. Open Book

THE SEED FOR
UNDERSTANDING

The open book illustrates our commitment towards education as a vehicle for understanding and tolerance.

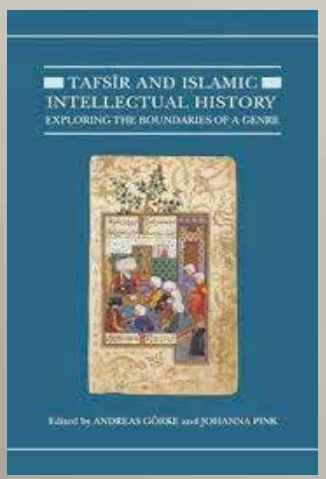

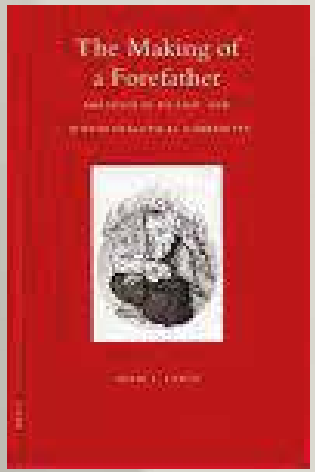

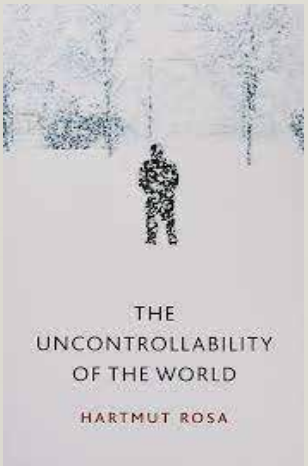

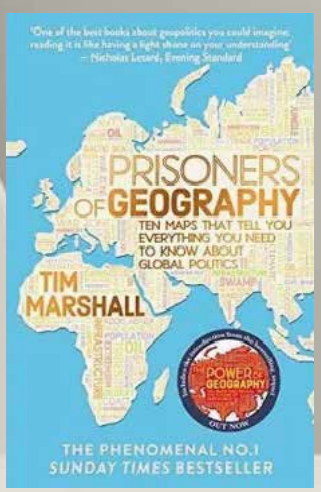

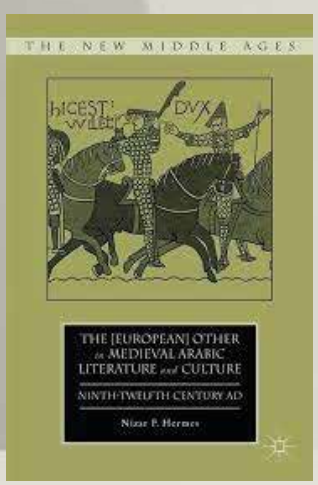

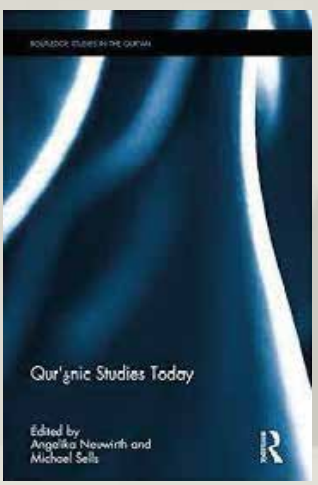

في الأعداد القادمة

إصدار: إدارة الدعم البحثي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
بالتعاون مع: الأرشيف والمكتبة الوطنية
MBZ university for humanities mbzuh